دانشگاه پیام نور

دانشکده الهیات وعلوم اسلامی

گروه علوم قرآن وحدیث

جزوه :

« متون ادبی در راستای نهـج البـلاغه »

گردآوری :

دکترسید محمد مهدی جعفــری

بسم الله الرحمان الرحیم

الحمدُ لله الّذي لا يبلُغ مِدحتَه القائِلونَ ، وَلا يُحصي نَعماءَهُ العادّونَ ، وَلا يُؤدّي حقَّه المُجتهِدونَ . (نهج البلاغه ، خطبهٔ ۱) .

نهج البلاغه گزیده‌ای است از خطبه‌ها ، کلام‌ها ، وصیت‌ها ، دعاها ، نامه‌ها ، عهدنامه‌ها ، بخشنامه‌ها و حکمت‌های امیرالمؤمنین امام علیّ بن ابی طالب ، علیه السلام که سید رضی ابوالحسن محمد بن حسین موسوی (۳۵۹ - ۴۰۶ ه.) در اواخر قرن چهارم به گردآوری و نگرنیش سخنان امیرالمؤمنین کمر همّت بسته است و در ۱۳ رجب سال ۴۰۰ ه تألیف آن را به پایان رسانیده است .

نهج البلاغه ، پس از قرآن مجید و رهنمودهای والای رسول خدا (ص) ، اصیل‌ترین و باارزش‌ترین آموزشهای انسانی در همهٔ ابعاد وجودی بشری است و شایسته است همراه با دو منبع یادشده ، «کتاب راهنمای عمل» همهٔ انسانها ، برای این جهان و جهان دیگر ، قرار گیرد .

این کتاب شریف ، روح قرآن و جوهر احادیث و آموزشهای نبوی است که با الفاظی زیبا و گوش نواز و معانی و محتوای ژرف و انسان‌ساز ترکیب یافته دانشمند و دانشجوی را بهترین راهنما و حقیقت‌جوی و هدایت‌خواه را مؤثرترین مقتدا است . رهروان راه بلاغت مسیر و نهج آن را پویند و شیفتگان فصاحت سرچشمهٔ گوارایش را جویند .

سخنوران و گویندگان در پیشگاه حضرتش پیوسته به تلمّذ کمر بسته بودند ، و نویسندگان و مترسّلان به مشق و درس در مکتب خانه‌اش نشسته بودند . هرکس به بلاغت و سخنوری شهره گردید به برکت آموختن درسهای گران سنگ او بود ، و آن کو استعداد نویسندگیش بالا شد در پرتو حفظ خطبه‌ها و نامه‌های باارزش او بود .

دیگر متون ادبی پرآوازه و آموزنده را باید به خواندن و بررسی نشست تا به ژرفا و گستره و ارزش سخنان امیرالمؤمنین (ع) و نامه‌های زیبا و حکمت‌آموز آن بزرگوار پی برد . ازاین روی در این مختصر ، پس از ارائهٔ دو نمونهٔ والا از سخن که یکی از جانب مولا و استاد و مقتدای او و دیگری از همسر وفادار و مدافع ولایت اوست ، به عرضهٔ سخنان کسانی و نامه‌های نمونه و زیبای نویسندگانی اقدام می‌کنیم که به سخنوری و فصاحت و بلاغت و کتابت در قرون اولیهٔ اسلامی مشهور بوده‌اند تا دانشجویان نکته‌سنج با مقایسه و مقابلهٔ خود گوهر را از خزف بازشناسند و اصل و بدل را - بجز خطبهٔ رسول خدا (ص) که خود سرمشق امام (ع) بوده است - از یکدیگر جدا سازند .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع

إن الحمد لله نَحمده ونَستغفره ونَتوب إليه ؛ ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا ، ومن سَيئات أعمالنا ، مَن يَهْد الله فلا مُضِلّ له ، ومَن يُضلل فلا هاديَ له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه . أُوصيكم عبادَ الله بتَقْوى الله ، وأَحُثُّكم على طاعته ، وأَسْتَفْتح بالذى هو خير . أما بعد ، أيّها الناس ، اسمعوا منّى أُبيِّن لكم ، فإنى لا أدرى لعلّى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى مَوْقفى هذا . أيها الناس ، إن دماءكم وأموالَكم عليكم حَرام إلى أن تَلقوا ربَّكم ، كحُرمة يَومكم هذا فى شَهركم هذا فى بلدكم هذا . ألا هل بَلّغت ، اللهم اشهد . فمن كانت عنده أمانة فَلْيُؤدِّها إلى الذى ائتمنه عليها ، وإن رِبا الجاهلية مَوْضوع ، وإن أوّل ربا أبدأ به ربا عمّى العبّاس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهليّة مَوْضوعة ، وإن أول دَم أبدأ به دَم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإنّ مآثر الجاهلية موضوعة غير السّدانة والسّقاية . والعَمْدُ قَوَد[1] ، وشِبْه العَمد ما قُتل بالعصا والحجر ، ففيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهليّة . أيها الناس ، إنّ الشيطان قد يَئِس أن يُعبد فى أَرْضكم هذه ولكنّه رضى أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تُحَقِّرون من أعمالكم . أيها الناس ، إنما النّسىء زيادة فى الكُفر ، يُضَل به الذين كَفروا ، يُحلّونه عاما ويُحَرمونه عاماً ، ليُواطئوا عدّةَ ما حَرّم الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خَلق الله السموات والأرض ، وإن عدّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله [يوم خلق] السموات والأرض ، منها أربعة حُرم ، ثلاثة متواليات ، وواحد فرد ، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذى بين جمادى وشعبان ، ألاَ هل بلّغت ، اللهم أشهد . أيها الناس ، إنّ لنسائكم عليكم حقًّا ، وإنّ لكم عليهن حقًّا ، لكم عليهن أن لا يُوطِئن فَرْشَكم غيركم ، ولا يُدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم

---

(١) القود : القصاص ، أى من قتل عمدا يقتل .

إلاّ بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مُبرِّح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عَوَار لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيراً . أيها الناس ، إنما المؤمنون إخوة فلا يحل لامرئ مالُ أخيه إلا عن طِيب نفسه ، ألاَ هل بلّغت ، اللهم اشهد . فلا ترجعوا بعدى كفارًا يضرب بعضكم أعناق بعض ، فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا : كتابَ الله[1] ، ألا هل بلّغت ، اللهم اشهد . أيها الناس : إنّ ربكم واحد ، وإنّ أباكم واحدٌ ، كُلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمُكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربىّ على عجمىّ فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلّغت ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فَلْيبلغ الشاهد منكم الغائب . أيها الناس ، إن الله قد قسم لكل وارث نصيبَه من الميراث ، ولا يجوز لوارث وصية [ولا تجوز وصية] فى أكثر من الثلث ، والولدُ للفراش وللعاهر الحجر ، من ادّعى إلى غير أبيه ، أو تولّى غيرَ مواليه ، فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين ، لا يقبل الله منه صَرْفًا ولا عدلا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[2][3] .

---

(١) زيد فى بعض الأصول : « بعد قوله « الله » : وأهل بيتى » .

(٢) انظر السيرة لابن هشام (ج ٤ ص ٢٥٠) طبعة الحلبى . والبيان والتبيين (ج ٢ ص ١٥) ونثر الدرر للآبى فبين الخطبة هنا وهناك بعض الخلاف .

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ٤ كتاب الخطب ، صص ٥٧ و ٥٨)

خطبة الزهراء (س) أمام نساء المهاجرين والأنصار

حدّثنا أحمد بن الحسن القطّان، قال: حدّثنا عبدالرّحمان بن محمّد الحسينيّ، قال: حدّثنا أبو الطيّب محمّد بن الحسين بن حميد اللّخميّ

قال: حدّثنا أبو عبدالله محمّد بن زكريّا، قال: حدّثنا محمّد بن عبدالرّحمان المهلبيّ، قال: حدّثنا عبدالله بن محمّد بن سليمان، عن أبيه، عن عبدالله بن الحسن، عن أمّه فاطمة بنت الحسين(ع) قالت: لمّا اشتدّت علّة فاطمة بنت رسول الله(ص) وغلبتها، اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار، فقلن لها: يا بِنْتَ رَسُولِ اللّهِ: كَيْفَ

أصبَحْتِ عن عِلَّتِكِ؟ فقالَتْ (ع):

«أصبحتُ واللّهِ عائفةً[1] لِدُنياكُم، قاليةً لِرجالِكُم، لَفَظْتُهُمْ قَبْلَ أنْ عَجَمْتُهُم[2] و شَنأتُهُمْ[3] بعدَ أنْ سَبَرْتُهُم[4]، فَقُبحاً لِفُلولِ الحَدِّ، وخَورِ[5] القَناةِ، وخَطَلِ الرَّأيِ[6]، «و بِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُم أنفُسُهُمْ أنْ سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وفي الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ» لاجَرَمَ لَقَد قَلَّدتُهم رِبقَتَها[7]، وشَنَنْتُ عليهم غارَها[8] فَجَدْعاً[9]، وعَقْراً[10] وسُحْقاً لِلْقَومِ الظّالمينَ».

وَيْحَهُمْ أنّى زَحْزَحُوها عَنْ رَواسي الرِّسالةِ، وقواعِدِ النُّبوَّةِ، ومَهْبِطِ الْوَحْيِ الأمينِ، والطِّبينِ[11] بأمرِ الدُّنيا والدِّينِ، ألا ذلكَ هُوَ الخُسرانُ الْمُبينُ، وما نَقَمُوا مِنْ أبي الْحَسَنِ، نَقَمُوا واللّهِ مِنْ نَكيرِ سَيْفِهِ، وَ شِدَّةِ وَطْيِهِ، وَنَكالِ وَقْعَتِهِ، وَتَنَمُّرِهِ[12] في ذاتِ اللّهِ عزَّوَجَلَّ.

واللّهِ لو تكافُّوا[13] عَنْ زِمامٍ نَبَذَهُ[14] رَسُولُ اللّهِ(ص) إلَيْهِ لاعْتَلَقَه[15]،ولَسارَبِهِم سَيراً سُجُحاً[16]، لا يَكْلِمُ[17] خِشاشُه[18]، ولا يُتَعْتِعُ راكِبُه[19]، ولأوْرَدَهُم مَنْهلاً نَميراً[20] فَضْفاضاً[21] تَطْفَحُ ضَفَّتاه[22] ولأصْدَرَهُم[23] بِطاناً[24]، قَدْ تَحيَّرَ بِهِمُ الرِّيُّ[25] غَيْرَ مُتَحَلٍّ مِنْه بِطائلٍ إلّا بِغَمْرِ الماءِ[26] وَرَدْعَةِ شَرَرَةِ السّاغِبِ[27]، ولَفُتِحَتْ عَليهِم بركاتٌ مِنَ السَّماءِ والأرضِ، وسَيَأخُذُهُمُ اللّهُ بما كانُوا يَكْسِبُونَ.

ألا هَلُمَّ فاسمَعْ وما عِشْت أراكَ الدَّهرُ الْعَجَبَ. و إنْ تَعْجِبْ فَقَدَ أعْجَبَكَ الحادثُ! إلى أيِّ سِنادٍ استَنَدُوا، وَبِأيِّ عُرْوَةٍ تَمَسَّكوا؟ استَبْدَلوا الذُّنابَى[28] واللّه بالقَوادِمِ[29] والعَجُزَ[30] بالكاهِلِ[31]. فَرَغْماً لِمَعاطِسِ[32] قَوْمٍ «يَحْسَبُونَ أنَّهُم يُحْسِنُونَ صُنْعاً» ألا إنَّهُم هُمُ الْمُفْسِدُونَ ولكِنْ لا يَشْعُرُونَ «أفَمَنْ يَهدي إلى الحَقِّ أحقُّ أنْ يُتَّبَعَ أمَّنْ لا يَهِدّي إلّا أنْ يُهْدى؟فَما لَكُمْ كَيفَ تَحْكُمُونَ.»

أما لَعَمْرِ إلهِكَ لَقَد لَقِحَتْ[33] فَنَظِرَةٌ رَيْثَ ما تَنْتِجُ ثُمَّ احتَلِبُوا طِلاعَ القَعْبِ[34] دَماً عَبيطاً[35]، وذُعافاً[36] مُمْقِراً[37]، هُنالِكَ يَخْسَرُ الْمُبْطِلون، و يَعْرِفُ التّالونَ[38]، غِبَّ ما سَنَّ الأوَّلون[39]، ثُمَّ طِيبوا عَنْ أنفُسِكُم أنْفُساً،و طَأْمَنُوا[40] لِلْفِتْنَةِ جَأْشاً[41]، وأبْشِرُوا بِسَيْفٍ صارِمٍ، وهَرْجٍ[42] شامِلٍ، وَاستبدادٍ مِنَ الظّالمينَ، يَدَعُ فَيْئَكُم زَهيداً، وزَرْعَكُم حَصيداً فَيا حَسْرَتي لَكُم، وَأنّى بِكُم «وَقَدْ عَمِيَتْ (قُلُوبُكُمْ)

عَلَيْكُم أَنُلْزِمُكُمُوها[٤٣] وأَنْتُم لَها كارِهُونَ».»

«بحارالأنوار، للمجلسي»

شرح المفردات

١. عائفة: كارهة.

٢. عَجَمَ عودَه: عضّ العود يخبر صلابته؛ جرّب أمر، وخبر حاله.

٣. شيء: كره.

٤. سَبَر: امتحن.

٥. الخَور: الضّعف.

٦. خطل الرأي: فساد الرأي.

٧. الربقة: حبل فيه عرى، حلقة.

٨. شنت عليهم غارها: أعلنت عليهم الحرب، الغار: الجيش الكثير.

٩. جدع: قطع أنفه. جدعاً لك: قطع الله عنك الخير.

١٠. عُقْراً: عُقماً.

١١. الطّبّين: الفطن.

١٢. تنمُّر: غضب.

١٣. تكافّوا: كفّ عن الأمر، وتكافّ: امتنع.

١٤. نبذه: رماه.

١٥. اعتلقه: أحبّه حبّاً شديداً.

١٦. سيرٌ سجح: مشي ليّنٌ سهل.

١٧. يكلم: كلم: جرح.

١٨. الخشاش: عود يجعل في أنف الجمل ليشدبه الزّمام.

١٩. يتعتع راكبه: يحرّكه بعنف، يؤذيه.

٢٠. نَمير: عَذْب.

٢١. فضفاض: واسع، كناية عن رغد العيش.
٢٢. تطفح ضفّتاه: تفيض جوانبه، كناية عن السعادة.
٢٣. أصدر: خرج عن الماء (المورد) بعد الريّ.
٢٤. بطان: مليء البطن.
٢٥. تحيّر بهم الريّ: تحيّر المكان بالماء، امتلأ به، كناية عن كثرة النعمة.
٢٦. غمر الماء: كثيره.
٢٧. الساغب: الجائع.
٢٨. الذُّنابيّ: ذَنَب الطائر، الذنابات من الناس، سفلتهم.
٢٩. القوادم: جمع قادمة، ريشات مقدّم الجناح، كبار الريش، كناية عن عِلْية القوة.
٣٠. العجز: مؤخر الجسم.
٣١. الكاهل: مقدّم الكتف.
٣٢. معاطس: جمع المعطس: الأنف.
٣٣. لقحت: حملت.
٣٤. احتلبواطلاع القعب: طلاع، ملآن، القعب، الكأس الكبير.
٣٥. العبيط: الدم الطري.
٣٦. ذعاف: السمّ.
٣٧. ممقر: المرّ.
٣٨. التالون: التابعون.
٣٩. غبّ ما سنّ الأوّلون: ساء ما سار عليه الأوّلون.
٤٠. طأمن، وطمأن: معناهما واحد: هدّأ.
٤١. الجأش: الإضطراب.
٤٢. هرج: الفتنة والإختلاط. (١)
٤٣. أنلزمكموها: أنفرضها عليكم فرضاً.

(١) الأدب السياسيّ في الإسلام لصادق آئينه وند، صص ٣٧ - ٤٠

خطبته يوم السقيفة

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناسُ نحن المهاجرون أوّل الناس إسلاماً وأكرمهم أحساباً ، وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثر الناس ولادةً في العرب وأمسّهم رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أسلمنا قبلكم ، وقدّمنا في القرآن عليكم فقال تبارك وتعالى (والسابقونَ الأولونَ منَ المهاجرينَ والأنصَار والذينَ اتبعوهم بإحسان) فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار : إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الفيء وأنصارُنا على العدو ، آويتم وواسيتم ، فجزاكم الله خيراً ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تَدين العرب إلا لهذا الحي من قريش ؛ فلا تَنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله .

خُطبة البَيعة

جاء في « سيرة » ابن هشام ، و « تاريخ الرسل والملوك » للطبري ، وفي ما نقل عنهما أنه لما بويع لأبي بكر (سنة ٦٣٢) وقف فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيُّها النَّاسُ ، إنّي قد وُلّيتُ عليكم ، ولستُ بخيركم . فإنْ رأيتُموني على حقّ ، فأعينوني . وإنْ رأيتُموني على باطلٍ فَسَدِّدوني . أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم . فإذا عصيتُهُ ، فلا طاعة لي عليكم . ألا إنّ أقواكم عندي الضعيفُ حتى آخذَ الحقَّ له ؛ وأضعفكم عندي القويُّ حتى آخذَ الحقَّ منه . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم .

وخطب أيضا فقال :

الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأومن به وأتوكل عليه ، وأستهدى الله بالهُدى ، وأعوذ به من الضّلال والرّدى ، ومن الشك والعمى ﴿ مَن يَهْدِ الله فهو المُهتدى ومن يُضلل فان تجد له وليًّا مُرْشداً ﴾. وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ، ﴿ له المُلك وله الحمد يُحيي ويُميت ، وهو حَيٌّ لا يَموت ، بيده الخَير وهو عَلَى كلّ شيء قدير ﴾. وأشهد أنّ محمداً عبدُه ورسولُه ، ﴿ أرسله بالهُدى ودين الحق ليُظهره عَلَى الدين كلّه ولو كَرِه المشركون ﴾ ، إلى الناس كافّة رحمةً لهم وحُجة عليهم ، والناسُ حينئذ عَلَى شَرِّ حالٍ ، فى ظُلمات الجاهليّة ، دينهم بِدْعة ، ودَعْوتهم فِرْية . فأعزّ الله الدينَ بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وألّفَ بين قلوبكم أيها المُؤمنون ﴿ فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم عَلَى شَفا حُفْرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يُبيّن الله لكم آياته لعلكم تَهتدون ﴾. فأطيعوا اللهَ ورسولَه ، فإنه قال عزّ وجَلّ : ﴿ من يُطِعِ الرَّسولَ فقد أطاع الله ومَن تَوَلَّى فما أرسلناكَ عليهم حَفيظا ﴾. أما بعد ، أيها الناس ، إنى أوصيكم بتقوى الله العظيم فى كل أمر وعَلَى كل حال ، ولُزوم الحق فيما أحببتم وكَرِهتم ، فإنه ليس فيما دون الصِّدق من الحديث خَير . مَن يَكْذب يَفْجر ، ومن يَفجر يَهْلِك . وإيّاكم والفَخْرَ ، وما فَخْرُ مَن خُلق من تراب وإلى التراب يَعود ، هو اليوم حيّ وغداً مَيّت . فاعمَلوا وعُدُّوا أنفسَكم فى الموتى ، وما أشكل عليكم فردُّوا عِلْمه إلى الله ، وقدِّموا لأنفسكم خيراً تَجدوه مُحْضَراً ، فإنه قال عزّ وجلّ : ﴿ يَوْمَ تَجد كلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِن خَيْرٍ مُحْضَرًا وما عَملت مِن سُوء تَوَدُّ لو أنّ بينها و بينه أمَداً بَعيداً ويُحذِّركم اللهُ نفسَه والله رَءوف بالعِبَاد ﴾. فاتّقوا الله عبادَ الله ، وراقبوه واعتبروا بمن مَضى قبلكم ، واعلموا أنه لا بُدّ من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم صَغيرها وكَبيرها ، إلاّ ما غَفر الله إنه غَفور رحيم . فأنفسَكم أنفسكم والمُستعانُ الله ، ولا حولَ ولا قوّة إلا بالله . إنّ الله وملائكته يصلّون على النبي ، يأيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تَسْليما . اللّهم صَلِّ على محمدٍ عَبْدِك ورسولك أفضلَ ما صلّيت على أحدٍ من خلْقك ، وزَكِّنا بالصلاة عليه ، وألحقنا به ، وأحشُرنا فى زمْرته ، وأوْرِدْنا حوضَه . اللهم أعِنّا عَلَى طاعتك ، وانصُرنا عَلَى عدوّك .[1]

(١) العقد الفريد (ج ٤ كتاب الخطب ، صص ٢٨٤ - ٢٨٦)

من خطب عمر بن الخطاب

خطبة الولاية

إنّ الله عزّ وجلّ ، قد ولاني أمرَكم ، وقد علِمتُ أنفعَ ما بحضرتكم لكم ؛ واني أسألُ الله ان يُعينَني عليه ، وان يحرسَني عنده كما حرسني عند غيره ؛ وأن يُلهمَني العدلَ في قَسمِكم[1] كالذي أمرَني به . وإني آمرُؤ مُسلمٌ ، وعبدٌ ضعيف ، إلّا ما أعانَ الله عزّ وجلّ . ولَن يُغيّرَ الذي وَليتُ من خِلافتكم من خُلقي شيئاً ، إن شاء الله . انما العَظَمةُ لله عزّ وجلّ ، وليس للعبادِ منها شيء . فلا يَقولَنّ أحدٌ منكم إنّ عُمرَ تَغيّرَ مُنذُ وَليَ . أعقِلُ الحقّ من نفسي ، وأتقدّم وأبين لكم أمري . فأيّما رجلٍ كانت له حاجة ؛ او ظُلِمَ مَظلِمةً ، أو عتب علينا في خُلق ، فليُؤذِني . فانّما أنا رجلٌ منكم . فعليكم بتقوى الله في سرّكم وعَلانِيَتكم وحُرُماتِكم وأعراضِكم . وأعطوا الحقّ من أنفسِكم . ولا يحمِلْ بَعضُكم بعضاً على أن تُحاكِموا إليّ . فإنّه ليس بيني وبين أحدٍ هَوادَة[2] . وأنا حبيب إليّ صلاحُكم ، عزيزٌ عليّ عَنَتُكم[3] . وأنتم أناسٌ عامّتُكم حَضَرٌ في بلاد الله ، وأهلُ بلدٍ لا زَرعَ فيه ولا ضَرع[4] ، إلّا ما جاء الله به إليه . وإنّ الله ، عزّ وجلّ ، قد وَعدَكم كرامةً كثيرة ، وانا مَسؤولٌ عن أمانتي وما انا فيه ، ومُطّلعٌ على ما يحضرني بنفسي ، إن شاء الله ، لا أكِلُهُ الى أحد . ولا أستطيعُ ما بَعُدَ منه الّا بالأُمَناء . وأهلِ النُصح منكم للعامة ، ولستُ أجعل أمانتي الى أحدٍ سِواهم ، إن شاء الله .

١ . القَسْم : العطاء ، التسوية .
٢ . الهَوادة : اللين ، المحاباة .
٣ . العَنَت : المشقة .
٤ . اراد به الحجاز .

من وصيّته للخليفة مِن بعده

أُوصيكَ بتقوى الله ، وشدّة الحذرِ منه ، ومخافةِ مَقته ، أن يَطّلِعَ منك على ريبة .

وأُوصيكَ ان تخشى الله في الناس ، وتخشى الناسَ في الله .

وأُوصيك بالعدلِ في الرعيّة ، والتفرُّغ لحوائجهم وثغورهم . ولا تُؤْثِرْ[1] غَنِيَّهم على فقيرهم . فإنَّ ذلك ، باذنِ الله ، سلامةٌ لقلبك ، وحَطٌّ لوِزْرِك[2] ، وخيرٌ في عاقبة أَمرِك ، حتى تُفضي من ذلك الى مَن يعرف سَريرَتك ، ويحول بينك وبين قلبك .

وآمرُك ان تشتدَّ في أمر الله ، وفي حدوده ومعاصيه ؛ على قريب الناس وبعيدِهم . ثمَّ لا تأخذْكَ في احدٍ رَأفةٌ حتى تَنتهكَ منه مثل ما انتهك من حرمة الله . واجعل الناس عندك سَواء لا تبالي على مَن وجب الحقُّ . ثم لا تأْخذْكَ في الله لَومةُ لائم .

وإيّاكَ والأَثَرةَ والمحاباةَ في ما ولّاكَ اللهُ مما أَفـاءَ[3] الله على المؤمنين ؛ فتجور ، وتظلم ، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك . وقد اصبحتَ بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة ؛ فان اقترفت لِدُنياك عَدلًا وعِفَّـةً عمَّا بَسَطَ اللهُ لك ، اقترفتَ به إيماناً ورضواناً . وان غَلَبَكَ الهوى ، اقترفت به سخطَ الله .

١ ـ لا تؤثرْ : لا تفضّل .
٢ ـ الوزر : الاثم ، الذنب .
٣ ـ أفاء : ردّ ، قبض ، أعطى .

وخطب أيضا فقال :

أيها النّاس ، اتقوا الله فى سَريرتكم وعَلانيتكم ، وَأْمروا بالمعروف وانهوا عن المُنكر ، ولا تكونوا مثلَ قوم كانوا فى سَفينة فأقبل أحدُهم على مَوضعه يَخْرِقه ، فنَظر إليه أصحابُه فمَنعوه ، فقال : هو مَوْضعى ولى أن أحْكم فيه . فإن أخذوا عَلَى يده سَلِم وسَلِموا ، وإنْ تركوه هَلك وهَلكوا معه . وهذا مَثل ضربتُه لكم ، رحمنا الله وإياكم .

وخطب عام الرمادة بالعباسى رحمه الله :

حمد الله وأثنى عليه وصلى عَلَى نبيّه ، ثم قال : أيها الناس ، استغفروا ربكم إنه كان غفّارا ، اللهم إنى أستغفرك وأتوب إليك . اللهم إنا نتقرّب إليك بعمّ نبيّك وبقيّة آبائه وكِبار رجاله ، فإنك تقول وقولُك الحق : (وأمّا الجِدَارُ فكانَ لغُلاَمَيْن يَتِيمَيْن فى المدينة وكانَ تَحْته كَنْزٌ لهما وكان أبُوهما صالحًا) . فحفظتَهما لصلاح أبيهما ، فاحفظ اللهم نبيّك فى عَمّه . اللهم اغفر لنا إنك كنت غفاراً . اللهم أنت الرّاعى ، لا تُهمل الضالّة ، ولا تَدع الكَسيرة بمَضْيعة . اللهم قد ضَرع الصغير ، ورَقّ الكبير ؛ وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السرّ وأخْفى . اللهم أغِثْهم بغِيائك قبل أن يَقْنطوا فَيَهْلِكوا ، فإنه لا ييأس من رَوْح الله إلاّ القومُ الكافرون[1] .

---

(١) نفس المصدر

من خطب عثمان بن عفان

خطبة الولاية

إنّكم في دار قُلعَة[1] ، وفي بقيّة أعمار. فبادروا آجالَكم بخير ما تقدرون عليه . فلقد أُتيتُمْ ، صُبِّحْتُم او مُسِّيتُم.. ألا وإنّ الدنيا طُويَت على الغرور ، فلا تَغُرَّنكم الحياةُ الدنيا ، ولا يَغُرَّنَّكُم بالله الغَرور . اعتبروا بمن مَضى ، ثم جُدّوا ولا تغفلوا ، فإنّه لا يُغفَل عنكم . أين ابناء الدنيا واخوانُها ؟ الذين آثروها ، وعَمروها ، ومُتِّعوا بها طويلًا ؟ ألَم تَلفِظْهُمْ ؟ أرموا بالدنيا حيثُ رمى الله بها ؛ واطلبوا الآخرة .

خطبة البيعة

قال بعد ما بويع :

امّا بعد ، فاني قد حُمِّلتُ وقد قَبِلت . ألا واني مُتَّبِع ولستُ بمبتدع . ألا وانّ لكم عليّ ، بعد كتاب الله ، عزّ وجلّ ، وسُنَّةِ نبيّهِ (صلعم) ثلاثاً : اتّباعَ مَن كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسَنَنْتُم ، وسَنّ سُنَّةِ أهل الخير فيما لم تَسُنُّوا عن مَلأ ، والكفَّ عنكم الّا فيما استَوجبتُم . ألا وانّ الدنيا خَضِرَةٌ قد شُهِّيَت الى الناس ، ومال اليها كثير منهم . فلا تَركنوا الى الدنيا ، ولا تثقوا بها ، فانها ليست بثقة . واعلموا انها غير تاركةٍ الّا مَن تركها .

في اول الثورة

عندما شعر بنقمة الناس عليه ، خطب فيهم فقال :

انّ لكلّ شيء آفة ، وإنّ لكل نعمة عاهة . في هـذا الدين عَيّابون ظنّانون ، يُظهرون لكم ما تُحبّون ، ويُسرّون ما تكرهون . يقولون لكم

١ ـ دار قُلعة : دار القلاع اي غير دائمة لا يطمئن اليها النازل الّا ريثما يتحوّل عنها .

وتقولون . طَغام[1] مثل النعـام ، يتبعون أوّل ناعق ؛ أحبُّ مَوارِدِهم إليهم النازِحُ[2] . لقد أقررتم لابن الخطّاب بأكثرَ مما نقمتم عليّ . ولكنه وَقَمَكُم[3] ، وقَعَكُم[4] ، وزَجَركم زَجرَ النعـام المُخزَّمة[5] . واللهِ ، إنّي لأقربُ ناصرًا ، وأعزُّ نَفَرًا ، وأقمنُ[6] — ان قلت : هَلُمَّ — أن تُجابَ دعوتي من عُمر ا هل تفقدون من حقوقكم شيئاً ؟ فما لي لا أفعل في الحقّ مـا أشاء ؟ إذن فلِمَ كنت إماماً ؟

في اشتداد الحصار

لما اشتدّ عليه الحصار أرسل الى علي وطلحة والزبير فحضروا . فأشرف عليهم ، فقال :

يا ايها الناس ، اجلسوا .

يا أهل المدينة، استودعكم الله . وأسأله ان يُحسن عليكم الخلافةَ من بعدي.

أنشدكم بالله ، هل تعلمون انكم دعوتم الله عنـد مُصاب عمر ان يَختار لكم ويجمعكم على خيركم ؟ أتقولون ان الله لم يستجب لكم ، وهُنتُم عليه ، وانتم أهلُ حقّه ؟ أم تقولون : هانَ على الله دينُه ، فلم يُبـالِ مَن وَلِيَ ، والدينُ لم يتفرّق أهلُه يومئذٍ ؟ أم تقولون : لم يَكن أُخذ عن مَشُورة ، انما كان مُكابرةً ، فوكل اللهُ الأُمّةَ إذْ عَصَتْهُ ، ولم يشاوروا في الإمامة ؟ أم تقولون : إنّ الله لم يَعلَمْ عاقبةَ أمري ؟ أنشدكم بالله ، أتعلمون لي من سابقة خير ، وقدم خير قَدَّمه الله لي يحقّ على كلّ مَن جاء بعـدي أن يعرفوا لي فضلها ؟ فهلّا ، لا تقتلوني ، فانهُ لا يحلُّ لكم الّا قتل ثلاثة : رجـلٌ زنى بعد إحصانه ، أو كفر بعد ايمانه ، أو قتل نفساً بغير حقّ . فانكم ، اذا قتلتموني ، وضعتُم السيفُ على رقابكم ، ثم لم يرفعِ اللهُ عنكم الاختلافَ أبدًا.(٧)

١ . الطغام : اوغاد الناس .
٢ . المورد النازع الذي ترد ماؤه: غاض، قلّ ، بعد .
٣ . وَقَمَ الدابة : جذب عنانها ، قهرها اذلها .
٤ . قمعه : ضربه بالمقمعة ، قهره .
٥ . البحير : جمل في جانب منخره خزم الخزامة ، اذلّه .
٦ . أقمن : اجدر ، احقّ .
٧ . مجاني الحداثة لأبي شيخو ، ج ٢

الخطب والأدعية

خطبة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضوان الله عليه :

أوّل خُطبة خَطبها بالمدينة ، فحَمِد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه عليه الصلاةُ والسلام ، ثم قال : أيها الناس ، كتابَ الله وسُنّةَ نبيّكم صلى الله عليه وسلم . أما بعد ، فلا يَدّعينّ مُدّعٍ إلا على نفسه ، شُغِل مَن[1] الجنّة والنار أمامَه . ساعٍ نجا[2] ، وطالبٌ يرجو ، ومقصر فى النار ، [ثلاثة ؛ واثنان] : مَلَك طار بجناحيه ، ونبىّ أخذ الله بيديه ، لا سادس . هلك مَنِ اقتحم[3] ، وَرَدِى مَن هوى[4] اليمينُ والشّمال مَضَلّة ، والوُسطى الجادّة . مَنهج عليه أم[5] الكتاب والسنّة وآثارُ النبوّة . إنّ الله داوَى هذه الأمة بدواءين[6] : السّوط والسيف ، لا هَوادة عند الإمام فيهما . أستتروا ببيوتكم ، وأصْلِحوا فيما بينكم ، فالموتُ من ورائكم . مَن أبدى صَفحته للحقّ هَلَك . قد كانت أمورٌ لم تكونوا فيها محمودين . أما إنى لو أشاء أن أقول لقُلت . عفا الله عما سَلف . سَبق الرجلان

---

(١) فى الأصول : « من » . وما أثبتناه من عيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٣٦) ونهج البلاغة (ج ١ ص ٣٢ طبع بيروت) .

(٢) فى بعض الأصول : « مجنبه » . (٣) فى بعض الأصول : « ادعى » .

(٤) فى بعض الأصول : « تقتحم » . (٥) فى عيون الأخبار : « باق » .

(٦) فى عيون الأخبار : « أدب . . . بأدبين » .

ونام الثالث كالغُراب هِمَّته بَطنه ، وَيْلَه ! لو قُصَّ جناحاه وقُطع رأسه لكان خيراً له . انظروا فإن أنكرتم فأنكروا ، وإن عَرفتم فاعرفوا . حقّ و باطل ، ولكُلّ أهل ، ولئن كَثُر[1] الباطل لقديماً فعل[2] ولئن قَلَّ الحق لربَّما ولعلّ ، ولقلما أدبر شيء فأقبل ، ولئن رجعتْ إليكم أموركم إنكم لسعداء ، وإني لأخشى أن تكونوا فى فَترة ، وما علينا إلا الاجتهاد .

ورَوى فيها جعفر بن محمد رضوان الله عليه : ألا إن الأبرار عِترتى ، وأطايب أرومتى ؛ أحلم[3] الناس صغارا ، وأعلم الناس كبارا . ألاَ وإنّا أهلَ البيت مِن عِلْم الله عِلْمُنا ، وبحُكم الله حُكمُنا ، ومِن قَول صادقٍ سمعنا ؛ فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصَائرنا . معنا رايةُ الحق ، من يَتبعها لَحِق ، ومن تأخر عنها غَرِق . ألاَ و بنا تُردّ تِرَة كُلّ مؤمن ، و بنا تُخلع رِبقة الذلّ من أعناقكم ، وبنا فُتح الأمر وبنا يُختم .

وخطبة له أيضا :

حَمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أُوصيكم عبادَ الله ونَفسى بتَقْوى الله ولُزوم طاعته ، وتقديم العَمَل ، وتَرْك الأَمَل ، فإنه من فَرّط فى عمله ، لم يَنْتفع بشيء من أمله . أين التَّعب بالليل والنهار ، والْمقتحم لِلُجج البحارِ ، ومَفاوِز القِفار ؟ يَسير من وراء الجبال ، وعالج[4] الرمال ؛ يَصل الغُدُوّ بالرَّواح ، والْمَساء بالصَّباح ، فى طلب مُحتَّرات الأرباح ؛ هَجَمتْ عليه منيّته ، فمظُمت بنفسه رَزِيَّته ؛ فصار ما جَمَعَ بُورا ، وما اكتسب غرورا ، ووافَى القيامةَ مَحْسورا . أيها اللاهى الغارُّ نفسه ، كأنّى بك وقد أتاك رسولُ ربك ، لا يَقْرع لك بابا ، ولا يَهاب لك حِجابا ؛ ولا يَقْبل منك بَدِيلا ، ولا يأخذ منك كَفِيلا ؛ ولا يرْحم

(١) فى بعض الأصول : « أمر » . وكلاهما بمعنى .

(٢) فى بعض الأصول : « قديما فهل » مكان « لقديما فعل » .

(٣) فى ا : « أحكم » .

(٤) عالج الرمال : ما تراكم منها ودخل بعضه فى بعض .

لك صغيرا ، ولا يُوقِر فيك كبيراً ؛ حتى يُؤدِّيك إلى قَعْر مُظلمة ، أرجاؤُها مُوحشة ؛ كفِعْله بالأُمم الخالية ، والقُرون الماضية . أين مَن سعى وأجتهد ، وجَمع وعدّد ، وبَنَى وشَيّد ، وزَخرف ونَجّد ، وبالقليل لم يَقنع ، وبالكثير لم يُمتّع ؟ أين مَن قاد الجنود ، ونَشر البُنود ؟ أضحَوْا رُفاتا ، تحت الثرى أمواتا ، وأنتم بكأسهم تُشاربون ، ولِسبيلهم سالكون . عبادَ الله ، فاتقوا الله ورَاقبوه ، وأعملوا لِليوم الذى تُسيَّر فيه الجبال ، وتَشقّق السماء بالغَمام ، وتَطايَرُ الكُتب عن الأيمان والشَّمائل . فأىّ رَجُل يومئذ تُراك ؟ أقائل : هاؤم أقرءوا كتابيه ؛ أم : ياليتنى لم أُوت كتابيَه ؟ نسأل مَن وَعَدَنا بإقامة الشرائع جَنَّته أن يَقينا سُخْطه . إنّ أحسنَ الحديثِ وأبلغَ الموعظة كتابُ الله الذى لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خَلْفه ، تَنْزِيلٌ من حَكِيم حَمِيد .

وخطبة له أيضا :

الحمدُ لله الذى اسْتَخْلص[1] الحمدَ لنفسه ، وأستوجبه على جَميع خَلْقه ، الذى ناصيةُ كُلّ شىء بيده ، ومَصير كُلّ شىء إليه ، القَوىّ فى سُلطانه ، اللَّطيف فى جَبَروته ، لا مانعَ لما أعطى ، ولا مُعْطِى لما مَنع ، خالق الخلائق بقُدْرته ، ومُسخِّرهم بمَشِيئته ، وَفِىّ العهد ، صادق الوَعْد ، شديد العِقاب ، جزيل الثَّواب . أحمده وأستعينه على ما أنعم به ، مما لا يَعرف كُنْهَه غيرُه ، وأتوكّل عليه توكّل المُستسلم لقُدرته ، المُتبرّى من الحَوْل والقُوة إلاّ إليه ، وأشهد شهادةً لا يَشُوبها شكّ أنه لا إله إلا هو وحدَه لا شريك له ، إلهًا واحدًا صَمَدا ، لم يَتّخذ صاحبةً ولا ولَدا ، ولم يكن له شريك فى المُلك ، ولم يكن له ولىّ من الذُّل وكَبِّره تَكْبيرا ، وهو على كل شىء قدير ، قَطع أدعاء المُدعى بقوله عزّ وجلّ : (وما خَلَقْتُ الجِنّ والإنْس إلاّ لِيَعبدون) . وأشهدُ أن محمدًا صلّى الله عليه وسلّم صفوتُه من خَلْقه ، وأمينُه على وَحْيه ، أرْسله بالمَعْروف آمِرًا ، وعن المُنكر ناهيا ، وإلى الحقّ

(١) ف ا ، ى : « اختص » .

داعيا ، على حين فَتْرة من الرُّسل ، وضَلالة من الناس ، واختلاف من الأُمور ، وتَنازُع من الألسن ، حتى تَمّ به الوَحْى ، وأنذر به أهلَ الأرض . أُوصيكم عبادَ الله بتَقْوى الله ، فإنها العِصْمةُ من كُلّ ضَلال ، والسَّبيلُ إلى كل نَجاة ؛ فكأنكم بالجُثث قد زايَلَتْها أرْواحُها ، وتَضمَّنتها أجداثُها ، فلن يَستقبِلَ معمَّر منكم يومًا من عُمره إلا بانتقاص آخرَ من أجَله ، وإنما دُنياكم كفَيْء الظِّل ، أو زاد الرَّاكب . وأُحذِّركم دُعاء العَزيز الجبّار عبدَه ، يوم تُعفِّي آثارُه ، وتُوحِشُ منه دِيارُه ، ويُوتَم صِغارُه ، ثم يصير إلى حَفِير من الأرض ، مُتعفِّرا خَدُّه ، غيرَ مُوسَّد ولا مُمهَّد . أسأل الذى وَعدنا على طاعته جَنّته أن يَقينا سُخْطه ، ويُجنِّبنا نِقْمته ، ويَهَب لنا رَحْمته ، إنَّ أبلغ الحديثِ كتابُ الله .(١)

(١) العقد الفريد (ج ٤ كتاب الخطب صص ٦٦ - ٦٩)

خطب معاوية

قال القَحْذَمىّ : لمَّا قَدِمَ مُعاويةُ المدينة عامَ الجماعة تلقّاه رجالُ قريش ، فقالوا : الحمد لله الذى أعزَّ نَصْرَكَ ، وأعْلى كَعْبك . قال : فوالله ما ردّ عليهم شيئاً حتى صَعِد المِنبر فحَمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنى والله ما وَليتُها بمحبّة علمتُها منكم ، ولا مَسَرّة بولايتى ، ولكنى جالدتُكم بسيفى هذا مُجالدة ، ولقد رُضْتُ لكم نفسى على عمل ابن أبى قُحَافة ، وأردتُها على عمل عُمر ، فنفرتْ من ذلك نِفَارًا شديداً ، وأردتُها على [مثل][1] ثَنِيَّات[2] عثمان ، فأبت علىّ فسلكتُ بها طريقاً لى ولكم فيه منفعة ، مُؤاكلة حَسنة ، ومُشاربة جميلة ، فإن لم تَجدونى خيرَكم فإنى خيرٌ لكم ولايةً . والله لا أحملُ السيفَ على من لا سيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يَسْتَشفى به القائلُ بلسانه ، فقد جعلتُ له ذلك دَبْرَ أذنى وتحت قدمى ، وإن لم تجدونى أقوم بحقّكم كُلّه فاقبلوا منّى بعضَه ، فإنْ أتاكم منّى خيرٌ فاقبلوه ، فإنّ السيل إذا زاد عَثَى[3] ، وإذا قلّ أغنى[4] ؛ وإياكم والفتنةَ ، فإنها تُفسد المَعيشة ، وتكدّر النّعمة ، ثم نزل .

[وخطبة أيضا لمعاوية :] :

حمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، إنا قَدِمْنا عليكم ، وإنما قَدِمْنا على صَدِيق مُستبشر ، أو على عدوّ مُستتر ، وناسٍ بين ذلك يَنْظرون ويَنْتظرون ، (فإنْ أعْطوا منها رَضُوا ، وإنْ لم يُعْطَوْا منها إذا هم يَسْخَطون) . ولستُ واسمًا كُلّ الناس ، فإن كانت مَحْمَدة فلا بدّ من مَذَمّة ، فلؤمًا هوناً إذا ذُكِرَ غُفِر ، وإياكم والتى إن أُخْفِيت أوْبقت . وإن ذُكِرَت أوْثَقَت ، ثم نزل .

---

(١) التكملة عن تاريخ ابن عساكر وتاريخ الإسلام للذهبى .

(٢) كذا فى الأصول ، وثنيات : جمع ثنية ، وهى الطريق العالى فى الجبل ، أى على مثل الصعب مما ركب عثمان . والذى فى ابن عساكر والذهبى : « سنيات » .

(٣) فى بعض الأصول : « جاء بثرى » .

(٤) أغنى ، أى كفى .

وصيّته لابنه يزيد

لما حضرت معاوية الوفاة كان يزيد ، وليّ عهده ، غائباً . فدعا معاوية مُسلم بن عُقبة المُرّي ، والضحّاك بن قيس الفهري ، وقال لهما : ابلغا عني يزيد وقولا له :

يا بُنيّ ، اني قد كفيتُك الشدَّ والتَّرحال ، ووطّأتُ لك الامور ، وذلّلتُ لك الأعداء ، وأخضعتُ لك رقابَ العرب ، وجمعتُ لك ما لم يجمعه أحد . فانظرْ أهلَ الحجاز ، فانّهم أصلُك وعِتْرَتُك[6] ، فمن أتاك منهم فأكرمهُ ، ومَن قعد عنك فتعهَّدْهُ . وانظرْ أهلَ العراق ، فان سألوكَ أن تعزلَ عنهم كلَّ يومٍ عاملًا ، فافعل . فان عزلَ عاملٍ أهونُ عليك من سَلِّ مائة الف سيف ، ثم لا تدري علامَ انت عليه منهم ؟ ثم انظرْ اهلَ الشام ، فاجعلهم الشِعار[1] دون الدثار[2] ، فان رابك من عدوّك رَيب ، فارمِهم[3] بهم . فان أظفرَك الله بهم ، فاردد اهل الشام الى بلادهم ، ولا يُقيموا في غير بلادهم ، فيتأدّبوا بغير ادبهم .

واني لستُ أخاف عليك ان ينازِعَك هذا الامرَ الّا أربعةُ نفرٍ من قُريش : الحسينُ بن علي ، وعبدُ الله بنُ عُمر ، وعبدُ الله بنُ الزُبَير ، وعبدُ الرحمن بن ابي بكر . فأمّا عبدالله بن عمر فرجلٌ قد وَقَذَه[4] الورع ؛ واذا لم يبقَ أحدٌ غيرُه بايعك . واما الحسين بن علي فانه رجل خفيف ، وأرجو ان يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاهُ ؛ ولا اظنّ اهلَ العراق تاركيه حتى يُخرجوه . فان خرج وظفِرتَ به ، فاصفحْ عنه ، فان له رَحِماً ماسّة ، وحقًّا عظيماً ، وقرابةً من محمد ، صلوات الله عليه وسلامه . واما ابن ابي بكر فان رأى اصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم ، ليست له همّةٌ الّا في النساء واللهو . واما الذي يجثم لك جثومَ الأسد ، ويراوغك مراوغة الثعلب ، فان أمكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزُبَير . فان هو وثب عليك ، فظفِرت به ، فقطِّعهُ إرباً إرباً[5] ، واحقنْ دماءَ قومك ما استطعت .

١ . الشِعار : الثوب الداخلي الذي يُلبس على شعر الجسد .

٢ . الدثار : ثوب يلبس فوق الشِعار .

٣ . فارمِهم : الضمير للعدو ، ويستوي فيه الواحد والجمع .

٤ . وَقَذَه : صرعه ، تركه عليلًا .

٥ . إرباً إرباً : عضوًا عضوًا .

خطبة[1] لعبد الله بن مسعود :

أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العُرى كلمة التقوى[2] . أكرم الملل مِلّة إبراهيم صلى الله عليه وسلم . خَيْر السُّنن سنةُ محمد صلى الله عليه وسلم ، شَرُّ الأمور مُحْدَثاتُها ، وخيرُ الامور أوْساطُها[3] . ما قلّ وكفى ، خَيْرٌ مما كَثُرَ وألْهى . لَنفس تُحييها[4] خير من إمارة لا تُحْصيها . خَيْرُ الغِنى غنى النَّفس . خيْرُ ما أُلْقِيَ فى القلْب اليَقين . الخمرُ جِماع الآثام . النساء حبائلُ الشيطان . الشَّباب شُعبة من الجنون . حُبُّ الكِفاية مِفْتاح المَعْجزة . شرّ الناس مَن لا يأتى الجماعة إلا دُبُراً ، ولا يذكر الله إلا هُجْراً[5] . سِباب المؤمن فُسُوق ، وقِتاله كُفر ، وأكْل لَحْمه معصية . من يَتَأَلّ[6] على الله يُكْذِبه ، ومَن يغفِر يغفِرْ له . مَكتوب فى ديوان المُحْسنين : مَن عفا عُفِيَ عنه . الشقيّ شَقِيّ فى بَطْن أُمّه . السَّعيد مَن وُعظ بغيره . الأُمور بعواقبها . مِلاك الأمْر خواتمُه . أحسنُ الهَدى هَدى الأنبياء . أقبح الضَّلالة الضلالة بعد الهُدَى . أشرَفُ الموْت الشَّهادة . مَن يَعرف البلاء يَصْبر عليه ، ومن لا يعرف البلاء يُنكره .[7]

---

(١) أكثر ما فى هذه الخطبة مما يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) كذا فى بعض الأصول والبيان (ج ٢ ص ٢٧) وإعجاز القرآن (ص ١٢٢) . والذى فى سائر الأصول : « التقوى خير زاد » .

(٣) كذا فى بعض الأصول والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٧) . والذى فى سائر الأصول : « عزائمها » . (٤) فى بعض الأصول : « تحميها » .

(٥) دبرا ، يروى بالضم والفتح ، وهو آخر أوقات الشىء فى الصلاة وغيرها . والهجر : الترك والإغفال . يريد تركه للذكر وإعراضه عنه .

(٦) يتألّ : يقسم . ومن تألّ على الله ، أى من حكم عليه تعالى وحلف ، كقول من يقول : والله لينجحن الله سعى فلان . وفى الحديث : ويل للمتألّين من أمتى . يعنى الذين يحكمون على الله ويقولون فلان فى الجنة وفلان فى النار .

(٧) نفس المصدر

خطبة لزياد بن أبيه

دُعيت هذه الخطبة البتراء لانه لم يبدأها بحمد الله . قالها على اثر قدومه البصرة والياً ، سنة ٦٦٦ ، والفسق فيها ظاهر :

أمّا بَعدُ ، فانّ الجهالةَ الجَهلاء ، والضلالةَ العمياء ، والغَيَّ المُوفي بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الامور العِظام ، ينبت فيها الصغيرُ ، ولا يتحاشى عنها الكبير . كأنكم لم تقرأوا كتابَ الله ، ولم تسمعوا ما أعدَّ اللهُ من الثوابِ الكريمِ لأهلِ طاعته ، والعذابِ الأليمِ لأهلِ معصيتِهِ ، في الزمن السرمـدي[1] الذي لا يزول . أتكون كمن طَرَفَت عينيه الدنيا ، وسدَّت مـامعه الشهوات ، واختار الفانيةَ على الباقيـة ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الاسلام الحَدَثَ الذي لم تُسبَقوا إليه مِن تَرْككُم الضعيفَ يُقهر ويؤخذ مالُه . . . أَلَمْ يكن منكم نُهاةٌ[2] تَمنع الغُواةَ عن دَلَجِ[3] الليـل وغارة النهار ؟ قَرَّبتُم القرابة ، وباعدتم الدين ! تعتذرون بغير العُذر ، وتُغضون على المختلِس . كل امرىء منكم يذُبُّ[4] عن سفيهـه ، صنيعَ مَن لا يخاف عاقبةً ، ولا يرجو مَعادًا . ما انتم بالحلماء ، ولقد اتبعتم السفهاء . فلم يزل بكم ما تَرَون من قيـامكم دونهم ، حتى انتهكوا حُرَمَ[5] الاسلام . ثم اطرقوا وراءكم كُنُوساً[6] في مَكانِسِ[7] الرِّيبِ . حَرامٌ عليَّ الطعـامُ والشرابُ حتى أُسَوِّيها بالأرض هدماً وإحراقاً .

١ . السرمدي : الدائم ، لا زوال له ولا آخر .
٢ . نُهاة : ج . ناهٍ : مانع .
٣ . الدَّلَج : السير من اول الليل .
٤ . يذبّ : يدفع .
٥ . الحُرَم : ج . الحُرمة : ما تجب المحافظة عليه .
٦ . الكُنوس : ج . الكانس : المستتر .
٧ . مكانس : ج . مَكنِس : المكان المستتر .

إني رأيتُ آخر هذا الأمر لا يَصلُح الا بما صلُح به أوَّلُهُ : لِينٌ في غير ضعف ، وشِدَّةٌ في غير عُنف . واني أُقسمُ بالله لآخُذَنَّ الوَلِيَّ بالمولى[1] ، والمقيمَ بالظاعن ، والمُقبل بالمُدبر ، والمُطيع بالعاصي ، والصحيحَ منكم في نفسهِ بالسَّقيم ، حتى يلقى الرجلُ منكم أخاه ، فيقول : «أنجُ ، سَعد ؛ فقد هَلك سُعَيد ! »[2] أو تستقيمَ لي قناتُكم . ان كِذبةَ المِنبَر بَلقاء[3] مشهورة . فاذا تعلَّقتم عليَّ بكِذبة فقد حَلَّت لكم معصيتي[4] . فاذا سمعتموها مني فاغتمزوها[5] فيَّ ، واعلموا أنَّ عندي امثالَها . مَن نُقب منكم عليه فانا ضامنٌ لما ذَهبَ منه . فإيّايَ ودَلَجَ الليل ، فاني لا أُوتى بمُدلجٍ الَّا سفكتُ دمه[6] ؛ وقد أجَّلتُكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبرُ الكوفةَ ويرجع اليكم . وإيّايَ ودَعوى الجاهليَّة[7] ؛ فاني لا أجِدُ أحدًا دعا بها إلَّا قطعتُ لسانَه . وقد حدثتم أحداثًا لم تكنْ ، وقد أُحدثنا لكل ذنبٍ عقوبةً : فمن غَرَّقَ قوماً غرَّقناه ، ومَن أحرقَ قوماً أحرقناه ، ومن نَقَبَ بيتاً نقبنا عن قلبه ، ومَن نَبَشَ قبرًا دَفَنَّاه حيًّا فيـه . فكفّوا عني أيديَكم وألسِنَتَكم أكُفُفْ عنكم يدي ولساني . ولا تظهرُ من أحدٍ منكم ريبةٌ بخلاف[8] ما عليه عامَّتُكم الَّا ضربتُ عُنقَهُ . وقـد كانت بيني وبين أقوامٍ إحَنٌ[9] ، فجعلت ذلك دَبْرَ اذني[10] ، وتحت قـدمي ، فمن كان منكم مُحسناً فليزدَدْ إحساناً ، ومَن كان منكم مُسيئاً فليَنْزِعْ عن اساءتِهِ . اني لو علمتُ أنَّ احدكم قد قتله السِلُّ من بُغضي لم أكشفْ له قِناعاً ، ولم أهتـك له سترًا

١ ـ الوليّ : السيد : والمولى : العبد .

٢ ـ وسُعَيد : ابنا ضبّة بن ادّ ، سعد خرجا في طلب إبلٍ لابيهما ، فوجدها سعد فردّها ، وصادف سعيدًا قاطع طريق فقتله وسلبه بُرده . فكان ضبّة ، وقد طال انتظاره ولديه ، اذا رأى سوادًا في الليل صاح : أسعدٌ ام سُعَيد ؟

٣ ـ بلقاء : من البَلَق : ارتفاء التحجيل في الفرس الى الفخذين والفرس البلقاء مشهورة لتميّزها عمّا سواها .

٤ ـ فاذا قال : تعلقتم : روى الطبري ان الشعبي « قوالله ما تعلّقنا عليه بكذبة ، ولا وَعَدنا خيرًا ولا شرًّا الّا انفذه . »

٥ ـ اغتمزوها : من اغتمزه : طعن عليه ، اي عدّها من عيوبي

٦ ـ فاياي ودلج الليل : هو اشبه بنظام « منع التجوّل » في الليل المفروض في اثناء الحوادث الجسام في عصرنا .

٧ ـ دعوى الجاهلية : مناداتهم : يا لقوم فلان ، والمقصود مناصرة العصبية القبلية .

٨ ـ بخلاف : اي تخالف ما اجتمع عليه عامة القوم .

٩ ـ إحَن : ج . إحنة : ضغينة ، حقد .

١٠ ـ دبر اذني : وراء اذني ، وقد اقتبسها من كلام معاوية (راجع ص ٢٩٣)

حتى يُبدي لي صَفْحَتَه[1] . فاذا فعل ذلك لم اناظِرْهُ ، فاستأنفوا أموركم ، وأعينوا على أنفُسِكم ؛ فربَّ مُبتئسٍ بقدومنا سَيُسَرّ ، ومسرورٍ بقدومنا سيَبتئس .

ايها الناس ، انا أصبحنا لكم ساسةً ، وعنكم ذادةً[2] ، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بفَيْءِ الله الذي خوَّلنا . فلنا عليكم السَّمْعُ والطاعةُ فيما أحببنا ، ولكم علينا العدلُ فيما ولينا ، فاستوجبوا عَدْلَنا وفَيْئَنا بمناصحتكم لنا ، واعلموا اني مهما قصَّرتُ عنه ، فلن أُقصِّر عن ثلاث : لستُ محتجباً عن طالب حاجةٍ منكم ، ولو أتاني طارقاً بليل ؛ ولا حابساً عطاء ولا رزقاً عن إبّانه[3] ؛ ولا مُجَمِّرًا[4] لكم بَعثاً[5] . فادعوا اللهَ بالصلاح لأئمَّتِكم ، فانهم ساستُكم المؤدِّبون لكم ، وكَهْفُكم الذي اليه تأوُون ؛ ومتى تَصلُحوا يصلُحوا . ولا تُشربوا قلوبَكم بغضَهم ، فيشتدَّ لذلك غيظُكم . ويطولَ له حزنُكم ؛ ولا تُدركوا له حاجَتَكم ، مع انه لو استُجيب لكم فيهم لكان شرًّا لكم .

أسألُ اللهُ ان يُعينَ كُلًّا على كلٍ ، واذا رأيتموني أُنفِذُ فيكم الأمر ، فأنفذوه على أذلاله[6] . وأيمُ اللهِ ، إنّ لي فيكم لَصرعى كثيرة ، فليَحذر كل امرىء منكم أن يكونَ من صَرْعاي . (٧)

١ . حتى يبدي : اي حتى يجاهرني بالمدارة .
٢ . ذادة : ج . ذائد : مدافع ، محامٍ .
٣ . إبّان الشيء : وقته ، زمنه ، موعده .
٤ . مُجمِّرًا : من جَمَّر الجند : حبسهم في ارض العدو .
٥ . البعث : الجيش يُبعث الى مقاتلة العدو .
٦ . الأذلال : ج . ذلّ : الطريق ، الوجه ، الناحية ، المجرى .
٧ . مجاني الحديثة ، ج ٢

الحجّاج بن يوسف

خطبة الولاية

لما ولي الحجاج العراق خرج من المدينة في اثني عشر راكبًا على النجائب حتى دخل الكوفة ، وقد انتشر النهار — وكان بشر بن مروان قد هيأ بعث الجيش يقياده المهلّب لقتال الحرورية ، وتخلف الناس عن المسير في ذاك البعث — فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله . ثم صعد المنبر ، وهو معتم بعمامة حمراء ، فقال : علي بالناس : فحسبوه واصحابه خوارج ، فهمّوا به : حتى إذا اجتمع الناس في المسجد قام ، ثم كشف عن وجهه ، وقال :

انا ابنُ جلا وطلّاعُ الثنايا ؛ متى اضعِ العِمامةَ تعرفوني ؛ (١)
صليبُ العود من سلفي نزارٍ ، كنصل السيفِ ، وضّاحُ الجبين .

اما والله ، إني لَأحمِلُ الشرَّ بحملِه ، واحذوه بنَعله ، وأجزيه بمثله . وإني لأرى رؤوساً قد اينعت وحان قِطافها ، وإني لَصاحبُها . وإني لأنظرُ الدماءَ تترقرقُ بين العمائم واللِحى .

قد شمّرت عن ساقها ، فشمّروا !

هذا أوانُ الشدِّ ، فاشتدّي ، زِيمْ ، قد لفّها الليلُ بسوّاقٍ حُطَمْ ، (٢)
ليس براعي إبلٍ ولا غنم ، ولا بجزّار على ظهر وَضَم (٣)
قد لفّها الليل بعَصْلَبيّ ، (٤) أروعَ ، خرّاجٍ من الدَّوِيّ ،
مهاجرٍ ليس باعرابيّ .

قد شمّرت عن ساقها ، فشدّوا ؛ وجدّت الحرب بكم ، فجِدّوا ،

١ ـ ابن جلا : اي الواضح الامر ◎ ابن الثنايا : ج . الثنية : العقبة .
٢ ـ الزيم : ج . الزيمة : القطعة من الابل ، شبّه اهل العراق بالابل ◎ الحُطَم : الراعي الظلوم للماشية .
٣ ـ الوضم : خشبة الجزار يقطع عليها اللحم — يعني ان هذا السوّاق لا يرحم الابل لانه ليس راعيا ولا جزارًا .
٤ ـ العصلبيّ : القوي العظيم من الرجال .

والقوس فيها وترٌ عُرُدٌ ، مثلُ ذراعِ البَكر او أشدُّ [1]

إني والله ، يا اهلَ العراق ، ومَعدنَ الشِقاق والنِفاق ، ومساوئ الأخلاق ، لا يُغمَزُ [2] جانبي ، ولا يقمقع لي بالشِنان [3] . ولقد فررتُ عن ذكاء ، وفتشت عن تجربة ، وأجويت مع الغاية . وإن امرءَ المؤمنين نَثَر كِنانته [4] ، ثم عجم [5] عيدانها ، فوجدني أمرَّها عودًا ، واشدَّها مَكسِرًا ؛ فوجّهني إليكم ، ورماكم بي . فانه قد طالما اوضعتُم في الفِتَن ، و ضَجعتُم في مَراقد الضلال ، وسَنَنتم سُننَ الغيّ ، وأيمُ الله ، لَأَحْوِنَّكم [6] حْوَ العَصا ، ولَأقرعنّكم قرعَ المَروَة [7] ، ولَأعصبنّكم [8] عَصبَ السَّلَمَة [9] ، ولَأضربنّكم ضرب غرائب الابل ، فانكم لكأهل « قريةٍ كانت آمنة مطمئنةً يأتيها رزقها رَغَدًا من كل مكان ، فكفرت بانعُم الله ، فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » [10] . اني ، والله ، لا أعدُ إلا وفَيت ، ولا أهمُّ الا امضيت ، ولا أخلُق [11] إلا فَريت [12] . وإياي وهذه الزُرافات والجماعات ، وقالَ ، وقيلَ ، ومـا يقولون ، وفيمَ أنتم ، وذاك . أما ، والله ، لتستقيمُنَّ على طريق الحق ، او لأدَعنّ لكل رجل منكم شغلًا في جسدهِ . من وَجدتُه بعد ثالثة [13] من بَعثِ المُهلَّب ، سفكتُ دمَهُ ، وأنهبتُ ماله ، وهدَمت منزله .

(١٤)

فشمّر الناس بالخروج الى المهلّب . فلما رأى المهلّب ذلك قال : « لقد ولي العراق خيرُ ذَكَر . »

١ * العُردَ : الصلب الشديد ◎ البكر : الجمل الفتي .

٢ * غمز القناة : عضّها وعصرها .

٣ * لا يقمقم لي بالشنان : الشنان : ج . الشنّ : الكيّ . اليابس ، اي لا ارتوع بالإرجاف وكثرة الكلام ، ولا يروى عني ما لا حقيقة له .

٤ * الكنانة : وعاء النبل .

٥ * عجم العود : عضّه ليعرف صلابته من رخاوته .

٦ * لحا ولحى الشجرة : قشرها .

٧ * المروة : اصلب الحجارة .

٨ * عصب الشجرة : ضمّ ما تفرق من اغصانها اليها ، ثم خبطها ليسقط ورقها .

٩ * السَّلَمة : شجر من العضاه .

١٠ * يصنعون : القرآن (١٦ [النحل] ١١٢)

١١ * خلق الثوب : قشره قبل قطعه .

١٢ * فرى : قطع .

١٣ * وجدته ... اي من وجدته (متخلفًا) من اللحاق بالجيش بعد ثلاثة ايام .

١٤ * نفس المصدر

من خطب عمر بن عبد العزيز

خطبة الولاية

اوصيكم بتقوى الله خَلَفاً من كلّ شيء ، وليس من تقوى الله ، عزّ وجلّ ، خَلَف . واعملوا لآخرتكم ؛ فانه من عَمِلَ لآخرته كفاه الله ، تبارك وتعال ، أمر دُنياه . وأصلحوا سرائرَكم يُصلحِ اللهُ الكريمُ علانِيَتكم . وأكثروا ذكرَ الموت ، وأحسنوا الاستعداد قبل ان ينزلَ بكم ، فانه هادمُ اللذّات . وإنّ مَن لم يذكر من آبائهِ فيما بينه وبين آدم ، عليه السلام ، أباً حيًّا لَمعرقٌ في الموت . وان هذه الأُمّة لم تختلف في ربّها ، عزّ وجلّ ، ولا في نبيّها (صلعم) ، ولا في كتابها ؛ وانما اختلفوا في الدينار والدرهم . واني والله لا أُعطي احدًا باطلًا ، ولا امنع احدًا حقًّا . اني لستُ بخازن ، ولكني أضع حيث أُمرتُ . ايها الناس ، انه قد كان قبلي وُلاةٌ تجترّون[2] مودّتهم بان تدفعوا بذلك ظلمهم عنكم . ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ! من أطاع الله وجبت طاعته . ومن عصى الله فلا طاعة له . أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم . فاذا عصيت الله ، فلا طاعة لي عليكم . اقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم .

١ * مُسلم : مُسلم بن عُقبة المُرّي ، صاحب وقعة الحَرّة الذي ظفر باهل المدينة .

الحرّة : وقعة كانت بظاهر المدينة ،
٢ * يوم في ارض بركانية تُدعى الحَرّة ، بين جيش يزيد بن معاوية وعليه مسلم بن عُقبة ، وانصار المدينة على الخلافة الاموية . وقد انتصر فيها مُسلم ، ودخل المدينة بعد حصارها فاباحها ثلاثاً : قتلاً ونهباً وسَبْياً .

٣ * تجترّون : تجترّون ، تجتذبون .

خطبته بخناصرة[1]

أيُّها النّاسُ إنكم لم تُخلَقوا عبثاً ولم تُتْرَكوا سُدًى . وإنَّ لكم مَعاداً يَحكُمُ اللهُ بينَكُم فيهِ . فخابَ وخَسِرَ مَن خرَجَ مِن رَحمةِ اللهِ التي وَسِعَت كلَّ شيء ، وحُرِمَ جنَّةَ عرضُها السَّماواتُ والأرضُ . واعلَمُوا أنَّ الأمان غداً لمن خاف اليَومَ رَبَّه ، وباع قَليلاً بكثيرٍ وفانياً بباقٍ . ألا ترونَ أنكم في أصلابِ الهالكين[2] . وسيَخلُفها من بعدكم الباقُونَ حتى يُرَدّوا الى خيرِ الوارثين[3] . ثمَّ إنَّكم في كلِّ يومٍ تشيّعون غادياً ورائحاً[4] الى اللهِ ، قد قضى نحبَهُ وبلغَ أجلهُ . ثمَّ تُغيّبونهُ في صدعٍ من الأرض ، ثمَّ تدَعُونهُ غيرَ مُوسَّدٍ ولا مُمهَّدٍ . قد خلعَ الاسبابَ[5] ، وفارقَ الاحبابَ ، وواجهَ الحسابَ ، غنيّاً عمَّا تركَ فقيرًا الى ما قدمَ . وأيمُ اللهِ ، إنّي لأقول لكم هذه المقالةَ وما أعلمُ عند أحدٍ منكم من الذنوب اكثر ممَّا عندي . وأستَغفِرُ اللهَ لي ولكُم . وما تبلغنا حاجَةٌ يتَّسِعُ لها ما عِندنا إلّا سدَدناها . ولا أحدٌ منكم الّا وَددتُ أنَّ يدهُ معَ يدي ولُحمَتي الذين يلُونني[6] حتى يستوي عَيشُنا وعيشكم . وأيمُ اللهِ ، إني لو أردتُ غيرَ هذا من عيشٍ أو غضارةٍ[7] ، لكان اللّسانُ بهِ ناطقاً ذَلولاً عالماً بأسبابهِ . ولكِنَّهُ مضَى مِن اللهِ كتابٌ ناطق ، سنَّةٌ عادلةٌ دلَّ فيها على طاعتهِ ، ونهَى عن معصيتهِ .[8]

١ * خناصرة : بليدة من اعمال حلب تعاذي قنسرين نحو البادية بناها خناصرة بن عمرو ، احد ملوك الشام .

٢ * في ذريتهم .

٣ * الوارثون : اي حتى يعودوا الى الله . خيار وقد دعاءُ بخير الوارثين لانهم يورث اصحابه الجنة .

٤ * غادياً ورائحاً : اشارةٌ الى المتوفين صباحاً او مساء .

٥ * خلع الاسباب : ترك وسائل الخلاص ، واسباب النجاة .

٦ * لحمتي الذين يلونني : اي اصحابي واهل بطانتي الذين بجواري .

٧ * الغضارة : النعمة ، الرفاهية .

٨ * نفس المصدر

المرسلون

عبد الحميد الكاتب

٧٤٩ - ؟

ابو غالب عبد الحميد بن يحيى ، شاميُّ الاصل ، غيرُ عربي . علَّم الصبية في اول عمره في مدن الشام متنقلًا من بلدة الى اخرى ، حتى اتصل بمروان بن محمد ، وكان عاملًا على أرمينية ، فكتب له . ثم لما بويع لمروان نقله معه ، فاصبح كاتبَ الخلافة . وظلّ بخدمته مخلصًا له ، لا يريد مفارقته ، في اثناء الثورة الخراسانية وتقدُّم جيوش ابي مُسلم ، حتى قُتل مروان . ثم قُبض على عبد الحميد فقتل سنة ٧٤٩ . وقد ترك في اللغة العربية أثرًا عميقًا يُذكر كلما ذُكرت الاساليب الكتابية ؛ فانه كان اول من اطال الرسائل ، ونوّع الخطاب مراعاةً لاحوال المخاطَبين ، وتفنَّن في التخلص والاستطراد ، كلُّ ذلك في لغة متينة ، وديباجة سهلة ، وان ظهرت جمله طويلة بعض الاحيان . ولا شك انه كان لاتصاله بابن المقفَّع اثر في هذا الاسلوب الجديد .

آثاره

كان عبد الحميد كاتبًا رسميًّا للدولة ، فكانت شؤون المملكة تفرض عليه كتابة الرسائل : رسائل ادارية الى الولاة ، ورسائل تنظيمية الى الرعية ، ورسائل تهديدية او سياسية الى الثائرين على الحكم ، وكثيرٌ ما هم في اواخر العهد الاموي . الا ان هذا لم يمنعه من الاضطلاع بالادب فترك رسالة وجّهها الى الكتاب ، وهم اذ ذاك اهل الادب الذين يخدمون الدولة في المراكز السامية ، لا الذين يؤلفون الكتب والمقالات . وترك ايضًا رسالة طويلة جمع فيها بين الادب وحسن السياسة والاخلاق وهي المعروفة بنصيحة ولي العهد . وقد اتاح الحظ لهاتين الرسالتين ان تبقيا بين الكثير من رسائل عبد الحميد المفقودة ، فنشرنا الاولى منها بكاملها ، واوردناها بمقتطفات كثيرة من الثانية ؛ واضفنا اليها مقطعًا من رسالة خاصة كتبها الى اهله ، وهو منهزم مع مروان ؛ وقسمًا من رسالة في الشطرنج .

رسالة إلى الكتّاب

اما بعد — حفظكم اللهُ ، يا أهلَ صناعة الكتابة ، وحاطكم ، ووفّقكم ، وارشدكم ! — فان الله ، عزّ وجلّ ، جعل الناس ، بعد الانبياء والمُرسلين ، صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين ، ومن بعد الملائكة المكرّمين ، اصنافاً ، وان كانوا في الحقيقة سواء ؛ وصرّفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب معاشهم وابواب ارزاقهم . فجعلكم ، معشرَ الكتاب ، في اشرف الجهات ، اهلَ الأدب والمروءات والعلم والرزانة ؛ بكم تنتظمُ للخلافة محاسنُها وتستقيمُ امورها ؛ وبنصائحكم يُصلح اللهُ للخلق سلطانَهم ، ويُعمّرُ بلدانَهم ؛ لا يستغني الملكُ عنكم ولا يوجدُ كافٍ الا منكم . فموقِعُكم من الملوك موقعُ اسماعهم التي بها يسمعون ، وابصارِهم التي بها يُبصِرون ، وألسنتِهم التي بها ينطِقون ، وايديهم التي بها يَبطُشون. فأمتعَكُم اللهُ بما خَصَّكم من فضل صِناعتكم ، ولا نزعَ عنكم ما اضفاه[1] من النعمة عليكم . وليس احدٌ من اهل الصِناعات كلِها أحوجُ الى اجتماع خلال الخيرِ المحمودة ، وخصالِ الفضل المذكورة المعدودة ، منكم ، ايها الكتّاب ، اذ كنتُم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم . فان الكاتبَ يحتاجُ من نفسه ويحتاجُ منه صاحبه الذي يثِقُ به في مُهمّات اموره ان يكونَ حليماً في موضع الحِلم ، فهيماً في موضع الفهم ، مِقداماً في موضع الاقدام ، مِحجاماً في موضع الإحجام ، مُؤثِرًا للعفاف والعدل والإنصاف ، كتوماً للاسرار ، وَفيًّا عند الشدائد ، عالماً بما يأتي من النوازل ؛ يضعُ الامورَ مواضعَها ، والطوارقَ في اماكنها ؛ قد نظر

١ ، اضفاه : من هذا الحوض : فاض من امتلائه .

في كل فنّ من فنون العلم فأحكمه ، وان لم يُحكمه اخذ منه بمقدار من الحسن ، واحتال على صرفه عمّا يهواه من القبح بالطف حيلة واجمل وسيلة . وقد علمتم ان سائسَ البهيمة، اذا كان بصيرًا بسياستها ، التمس معرفة اخلاقها، فان كانت جَموحاً لم يَوجِّها اذا ركبها ، وان كانت شَبوباً[1] اتّقاها من قِبل يديها ، وان خافَ منها شرودًا توقّاها من ناحية رأسها ، وان كانت حَرونًا قَمَع[2] برفقٍ هواها في طُرُقها، فان استمرّت عَطَفها يَسيرًا فيسلَس[3] له قيادُها. وفي هذا الوصف من السياسة دلائلُ لمن ساس الناس وعامَلهم وجرّبهم وداخلهم. والكاتبُ، لفضل ادبه وشريفِ صنعته ، ولطيف حيلته ومعاملته لمن يجاورُه من الناس ويناظِرُه ويفهم عنه ، او يخافُ سطوته ، اولى بالرفق بصاحبه ومداراته ، وتقويم أوَده[4] من سائس البهيمة ، التي لا تُحير جواباً ولا تعرف صواباً ، ولا تفهم خِطاباً ، الّا بقدر ما يصيّرها اليه صاحبها الراكب عليها .

الا ، فارفقوا ، رحمكم الله ، في النظر ، وأعملوا فيه ما امكنكم من الرويّة والفكر ، تأمنوا باذن الله ممن صحبتموه النَبوة[5] والاستثقال والجفوة[6]، ويصير منكم الى الموافقة ، وتصيرون منه الى المؤاخاة والشفقة ، ان شاء الله تعالى .

ولا يُجاوزنَّ الرجل منكم ، في هيئة مجلسه وملبَسه ومَركبه ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمه ، وغير ذلك من فنون امره ، قَدرَ حقه . فانكم ، مع ما فضّلكم الله به من شرف صنعتكم ، خَدَمة لا تُحتملون في خدمتكم على التقصير ؛ وحَفَظة لا تُحتمل منكم افعال التضييع والتبذير . واستعينوا على عَفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم ، وقصصته عليكم ؛ واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف ، فانهما يُعقبان الفقر ، ويُذِلّان الرّقاب ويفضحان اهلها، ولا سيما الكتّاب وارباب الآداب . وللامور اشباه، وبعضها

١ . الشَبوب : الفرس تجمز رجلاه يديه .
٢ . قمعه : صرفه عما يريد ؛ قهره وذلّله .
٣ . سلِس : كان ليّنًا منقادًا .
٤ . الأَوَد : الاعوجاج .
٥ . النبوة : تجافٍ وتباعد .
٦ . الجفوة : الغلظ في المعاشرة .

دليل على بعض ؛ فاستدلوا على مؤتنف[1] اعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ، ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها محجة ، واصدقها حجة ، واحمدها عاقبة . واعلموا ان للتدبير آفة متلفة ، وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه ورَوِيّته . فليقصِد الرجل منكم في مجلِسه قصد الكافي من منطقه ، وليوجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حُججه ، فان ذلك مَصلحة[2] لفعله ومدفعة للشاغل عن اكثاره. وليضرع الى الله في صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافةَ وقوعه في الغلط المضرّ ببدنه وعقله وادبه . فانه ، ان ظنّ منكم ظانّ ، او قال قائل : ان الذي برز من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره ، فقد تعرّض بظنّه او مقالته الى ان يكِله الله ، عزّ وجلّ ، الى نفسه ، فيصير منها الى غير كاف ، وذلك على من تأمله غير خاف . ولا يقول احد منكم انه ابصر بالامور واحمل لِعب. ما يكتفي به، يعرف بغريزة عقله وحسن ادبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده ، وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره ، فيعُدّ لكل امر عدته وعتاده ، ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته فتنافسوا ، يا معشر الكتّاب ، في صنوف الآداب ، وتفقهوا في الدين وابدؤوا بعلم كتاب الله ، عزّ وجلّ ، والفرائض . ثم العربية فانها ثقاف ألسنتكم . ثم أجيدوا الخط ، فانه حِلية كتبكم ، وارووا الاشعار ، واعرفوا غريبها ومعانيها وايام العرب والعَجم واحاديثها وسِيَرها ، فان ذلك معين لكم على ما تسمو اليه همكم . ولا تُضيّعوا[3] النظر في الحساب ، فانه قِوام[4] كتاب الخراج . وارغبوا بأنفسكم عن المطامع ، سَنيّها ودنيّها ، وسفساف[5] الامور ومحاقرها ، فانها مذلّة للرِقاب ، ومفسدة للكتاب . ونزّهوا صناعتكم عن الدناءة ، واربؤوا بانفسكم عن السّعاية والنميمة ، وما فيه اصل الجَهالات . واياكم والكِبْر والسُّخف[6] والعظمة ، فانها

١ * ائتنف الشيء : أخذ فيه وابتداه : رمثلها استأنف .

٢ * المصلحة : ما يبعث على الصلاح : ما يتماطاه الانسان من الاعمال الباعثة على لذمه او نقم قومه .

٣ * لا تضيعوا ... : اي لا تهملوا .

٤ * قِوام الامر : نظامه وعماده وما يقوم به .

٥ * السفساف : الرديء من كل شيء ؛ الامر الحقير .

٦ * السُّخف : رقة العقل .

عداوة مجتلبة من غير إحنة[1] . وتحابّوا في الله عزّ وجلّ ، في صناعتكم ، وتواصوا عليها بالذي هو أليق لاهل الفضل والعدل والنُبل من سلفكم . وان نبا الزمان برجل منكم فاعطِفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه امره . وان اقعد احدًا منكم الكِبَر عن مكسبه ولقاء اخوانه ، فزوروه وعظِّموه وشاوروه واستظهروا[2] بفضل تجربته ، وقديم معرفته . وليكن الرجل منكم ، على من اصطنعه وابتظهر به ليوم حاجته اليه ، أحوط منه على ولده واخيه ؛ فان عرَضت في الشغل محمدة فلا يصرفها الا الى صاحبه ؛ وان عرضت مذمّة فليحملها هو من دونه . وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغيّر الحال ، فان العيب اليكم ، معشر الكتاب ، اسرع منه الى القراء ، وهو لكم افسد منه لهم . فقد علمتم ان الرجل منكم اذا صحِبه من يبذُل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه ، فواجب عليه ان يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سره وتدبير امره، ما هو جزاء لحقه، ويصدق ذلك تبعاً له عند الحاجة اليه والاضطرار الى ما لديه . فاستشعروا ذلك ، وفقكم الله ، من انفسكم في حالة الرخاء والشدة، والحرمان والمؤاساة والاحسان ، والسراء والضراء . فنعمت التسمية هذه من وُسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة . واذا وُلّي الرجل منكم ، أو صُيّر اليه من امر خلق الله وعياله امر ، فليراقب الله ، عزّ وجلّ ، وليؤثر طاعته ، وليكن على الضعيف رفيقاً ، وللمظلوم منصفاً ؛ فان الخلق عيال الله ، واحبهم اليه ارفقهم بعياله .

ثم ليكن بالعدل حاكماً ، وللأشراف مكرّماً ، وللفيء[3] موفرًا ، وللبلاد عامرًا ، وللرعية متألفاً وعن أذاهم متخلفاً. وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً ؛ وفي سجلّات خَراجه واستقضاء حقوقه رفيقاً. واذا صحب احدكم رجلًا فليختبر خلائقه ، فاذا عرف حسنها وقبيحها اعانه على ما يوافقه التدبير من مرافقه في

١ ـ الاحنة : الحقد.
٢ ـ استظهر به : استعان.
٣ ـ الفيء : الخراج.

صناعته ومُصاحبه في خدمته ، فان اعقل الرجلين عند ذوي الالباب من رمى بالعُجب وراء ظهره ، ورأى ان صاحبه اعقل منه واجل في طريقته. وعلى كل واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله ، جلّ ثناؤه ، من غير اغترار برأيه، ولا تزكية لنفسه؛ ولا يكاثر[1] على اخيه، او نظيره وصاحبه وعشيره.

وحمد الله واجب على الجميع ، وذلك بالتواضع لعظمته ، والتذلل لعزّته ، والتحدث بنعمته . وانا اقول في كتابي هذا ما سبق به المثل : من تلزمه النصيحة يلزمه العمل . وهو جوهر هذا الكتاب وغُرّة كلامه ، بعد الذي فيه من ذكر الله ، عزّ وجلّ ؛ فلذلك جعلته آخره وتممته به . تولّانا الله واياكم ، يا معشر الطلبة والكتبة ، بما يتولى به من سبق علمه باسعاده وارشاده ، فان ذلك اليه وبيده ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

من رسالة في نصيحة ولي العهد

اياك وان يظهر منك تبرّم بمجلسك، وتضجّر بمن حضرك. وعليك بالتثبت عند سَورة الغضب وحَمية[2] الانف ومَلال الصَّبر في الامر تستعجل به ، والعمل تأمُر بانفاذه؛ فان ذلك سُخف سائر وخفة مُردية وجَهالة بادية . وعليك بثبوت المنطق ووَقار المجلس وسكون الريح ، والرفض لحشو الكلام وترديد فُضوله، والاعتزام بالزيادات في منطقك والترديد للفظك من نحو : «اسمع» او «اعجل» او « ألا ترى » ، او ما يلهَج[3] به من هذه الفضول المُقصرة بأهل العقل ، المنسوبة اليهم بالعي[4] ، المُردية لهم في الذكر[5] . وخصال من معايب الملوك والسوقة عيبها عند النظر الا من عرفها من اهل الادب، وقلما حامل لها مُضطلع بثِقلها آخذ لنفسه بجوامعها ؛ فأنفِها[6] عن نفسك بالتحفظ منها ، واملك عنها

١ ـ كاثره : فاخره بكثرة المال والعدد.
٢ ـ حمي انفه حميّة : عزّ .
٣ ـ لهج بالشيء : أغرى به فثابر عليه.
٤ ـ عيي في المنطق : حصر : لم يقدر على الكلام.
٥ ـ الذكر : الصيت.
٦ ـ نفاه عنه : نحّاه ودفعه وازاله.

اعتقادك معنياً بها : كثرة التنخّم[١] والتبزّق ، والتنحنح[٢] والتثاؤب ، والتمطي وتنقيض[٣] الأصابع وتحريكها، والعَبَث[٤] باللحية والشارب والمخصرة[٥] وذؤابة[٦] السيف ، والايماض[٧] بالنظر ، والاشارة بالطَّرف الى احد من خدمك بامر ان اردته ، والتبرار[٨] في مجلسك ، والاستعجال في طعمك وشربك .

وتعلم ، ان خلوت بسِرّ ، فالقيت دونه سُتورك وأغلقت عليه ابوابك ، فذلك لا محالة مكشوف للعامّة ، ظاهر عنك ، وان استترت « بما » و «لعلّ» و «ما أرى اذاعة ذلك» . فاعلم بما يرون من حالات من يُنقطع به[٩] في تلك المواطن ، فتقدم في احكام ذلك من نفسك وسُد خَلَله[١٠] عنك ؛ فانه ليس أحد أسرع اليه سوء القالة[١١] ولَغَط[١٢] العامة ، بخير او شر ، ممن كان في مثل حالك ومكانك الذي اصبحت به من دين الله والامل المرجوّ المنتظر . واياك ان يُغمِز[١٣] فيك احد من عامتك وبطانة خدمك بضعفة ، يجد بها مساغاً الى النُّطق عندك بما لا يعتزلك عيبه ، ولا تخلو من لائمته ، ولا تأمن سوء القالة فيه ، ان نجم[١٤] ظاهرًا وعلن بادياً؛ ولن يجترؤوا على تلك عندك الا ان يروا منك اصغاء اليها ، وقبولًا لها وترخيصاً بها .

ثم اياك ان يُفاض[١٥] عنـدك بشيء من الفكاهات والحكايات والمزاح والمضاحك التي يستخفّ بها اهل البطالة ، ويتسرع نحوها ذوو الجهالة ، ويجد

١ * تنخّم : دفع شيء من صدره .
٢ * تنحنح الرجل : ردّد صوته في صدره .
٣ * انتقض اصابعه ونقضها : ضرب بها لتصوّت .
٤ * عبث : لعب .
٥ * المِخصرة : شيء كالسوط ؛ ما يأخذه الملك بيده ليشير به اذا خاطب .
٦ * ذُؤابة السيف : علاقته .
٧ * اومض الرجل : اشار اشارة خفية رمزًا او همزًا .
٨ * سارّه يسرارًا : ناجاه .
٩ * انقُطِع بالمسافر : عطبت دابته ، او نفد زاده . فالقطع به السفر .
١٠ * الخَلَل : الفرجة بين الشيئين .
١١ * القالة : القول الفاشي في الناس ، خيرًا او شرًا .
١٢ * اللَّغط : الصوت والجلبة ، او اصوات مبهمة لا تفهم .
١٣ * اغمز في فلان : عابه واستضعفه .
١٤ * نجم الشيء : ظهر وطلع .
١٥ * أفاض القوم في الحديث : اندفعوا .

فيها اهل الحسد مقالًا لعيب يرفعونه ، ولطعن في حق يجحدونه ؛ مع ما في ذلك من نقص الرأي ، ودَرَن العرض ، وهَدْم الشرف ، وتأثيل[1] الغفلة وقوة طباع السوء ، الكامنة في بني آدم كمون النار في الحجر الصَلد، فاذا قُدح لاح شرره ولهب وميضه وَوقَد تضرّمه. وليست في احد أقوى سطوة واظهر توقدًا واعلى كوناً واسرع اليه بالعيب، منها الى من كان في سنك من اغفال[2] الرجال وذوي العنفوان في الحداثة ، الذين لم يقع عليهم سِمات[3] الامور ناطقًا عليهم لانحها ، ظاهرًا عليهم وَسمها ، ولم تمحضهم شهامتها مظهرة للعامة فضلهم، مذيعة حُسن الذكر عنهم ؛ ولم يبلُغ بهم الصمت في الحركة مستمعاً يدفعون به عن أنفسهم نواطق ألسن أهل البغي ، ومواد ابصار اهل الحسد .

*

إحفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من اخبار عدوك . وإياك ومعاقبة احد منهم على خبر، إن اتاك به اتهمته فيه او سُؤت ظنًا عليه ، واتاك غيره بخلافه ، وأن تكذّبه فيه وتردّه عليه . ولعله أن يكون مَن محضك النصيحة وصدقك الخبر ، وكذبك الاول ؛ او خرج جاسوسك الاول متقدّماً قبل وصول هذا من عند عدوك ، ولقد أبرموا امرًا ، وحاولوا لك مكيدة وازدادوا منك غِرّة[4] ، وإن دفعوا اليك في الامر ثم انتقض بهم رأيهم واختلف عنه جماعتهم ، فأوردوا رأياً وأحدثوا مكيدة وأظهروا قوّة وضربوا موعدًا ، وأمّوا مسلكاً لعدد اتاهم او قوّة حدثت لهم ، او بصيرة في ضلالة شغلتهم ؛ فالاحوال منتقلة بهم في الساعات وطوارق الحادثات . ولكن البسهم جميعاً على الانتصاح وأرجح لهم المطامع، فانك لم تستعبدهم بمثله . وعِدهم جَزالة المثاوب ، في غير ما استنامة منك الى أمر عدوّك ، والاغترار بما لم يأتوك به دون أن تعمل رويّتك في الاخذ بالحزم والاستكثار من العُدّة . وأجعلهم أوثق من يقدر عليه ، إن استطعت ذلك ؛ وآمن من تسكن الى ناحيته ، ليكون ما يُعزم

١ ـ أثَلَ الشيء : أصّله .
٢ ـ الاغفال : جـ . الغُفل : من لا يدعى خيره ولا يخشى شره .
٣ ـ السمات : جـ . الشمة : العلامة .
٤ ـ الغِرّة : الغفلة .

عدوك في كل يوم وليلة عندك ، إن استطعت ، فتنقُض[1] عليهم بتدبيرك ورأيك ما لم يرَموا[2] ، وتأتيهم من حيث اقدموا ، وتستعد لهم بمثل ما حذِروا .

وأعلمْ أن جواسيسك وعيونك ربما صدقوك وربما غشوك ، وربما كانوا لك وعليك ، فنصحوا لك وغشوا عدوّك ، وغشوك ونصحوا عدوك ، وكثير مما يصدقونك ويصدقونه ؛ فلا يبدُرنّ منك فرطة في عقوبة الى احد منهم ، ولا تعجل بسوء الظن الى من اتهمته على ذلك ؛ وابسُط من آمالهم فيك من غير ان تُري أحدًا منهم أنك اخذت من قوله اخذ العامل به ، والمُتبع له ؛ او عملت على رأيه عمل الصادر عنه ، او رددته عليه ردَّ المُكذّب والمُتهم المستخفّ بما اتاك منه ، فتُفسد بذلك نصيحته وتستدعي غشّه وتجترّ عداوته .

إحذر أن يُعرَف جواسيسك في عسكرك ، او يُشار اليهم بالاصابع . وليكن منزلهم على كاتب رسائلك وامين سرّك ؛ ويكون هو الموجّه لهم والمُدخل عليك من أردت مشافهته منهم . وأعلم ان لعدوك في عسكرك عيوناً راصدة ، وجواسيس كامنة ، وأن رأيه في مكيدتك مثل ما تكايده[3] به ؛ وسيحتال لك كاحتيالك له ، ويُعدّ لك كأعتدادك له . فأحذر ان يشعر رجل من جواسيسك في عسكرك فيبلُغ ذلك عدوّك ، ويعرف موضعه فيُعدّ له المراصد ويحتال له بالمكايد ، فان ظفر به واظهر عقوبته كسر ذلك ثقات عيونك ، وحوّله عن تطلّب الاخبار من معادنها واستقصائها من عيونها حتى يصيروا الى اخذها عن عرض من غير الثقة ولا معاينة لغطانها بالاخبار الكاذبة والاحاديث المُرجفة[4] .

وأحذرْ ان يعرف بعض عيونك بعضاً ، فانك لا تأمن تواطؤهم[5] عليك وما لأتهم[6] عدوك واجتماعهم على غشك وكذبك ، وان يُورّط[7] بعضهم بعضاً

١ ـ نقض الامر : افسده بعد إحكامه .
٢ ـ رمّ الشيء : اصلحه .
٣ ـ كايده : مكر به .
٤ ـ ارجف : خاض في الاخبار السيئة والفتن قصد ان يهيج الناس .
٥ ـ تواطأ القوم على الامر : توافقوا .
٦ ـ مالأه على الامر : ساعده وعاونه .
٧ ـ ورّطه : القاه في الورطة ، وارقمه في ما لا خلاص منه .

عند عدوك . وأحكم امرهم فانهم رأس مكيدتك وقوام تدبيرك ، وعليهم مدار حربك ، وهم اول ظفرك ؛ فأعمل على حسب ذلك وجنب رجاءك به نيل املك من عدوك وقوتك على قتالهم ، وانتهاز فرصته ، ان شاء الله . فاذا احكمت ذلك وتقدمت فيه واستظهرت بالله وعونه، فولِ شرطتك وأمر عسكرك اوثق قوادك عندك ، وآمنهم نصيحة واقدمهم بصيرة في طاعتك ، واقواهم شكيمة[1] في أمرك ، وامضاهم صريمة، واصدقهم عفافاً وأجرأهم جناناً ، واكفأهم امانة، واصحهم ضميرًا ، وارضاهم صبرًا ، واحمدهم خُلقاً ، واعطفهم على جماعتهم رأفة ، واحسنهم لهم نظرًا ، واشدَّهم في دين الله وحقه صلابة . ثم فوض اليه مُقوياً له ، وابسط من امله مظهرًا عنه الرضى ، حاملًا منه الابتلاء[2]. وليكن عالماً بمراكز الجنود ، بصيرًا بتقديم المنازل ، مُجرّباً ، ذا رأي وتجربة وحزم في المكيدة ، له نباهة في الذِكر وصيت في الولاية ، معروف البيت ، مشهور الحسب ؛ وتقدّم اليه في ضبط مُعسكرك واذكاء أحراسه[3] في آناء ليله ونهاره، ثم حذّره ان يكون له إذن لجنوده في الانتشار والاضطراب والتقدم للطائفة ، فيصاب منهم غِرة يجترئ بها عدوك ، ويُسرع إقداماً عليك ، ويكسر من افئدة جنودك ، ويوهن من قوّتهم ، فان إصابة عدوك الرجل الواحد من جندك وعبيدك مطمع لهم منك مُقوّ لهم على شحذ اتباعهم عليك وتصغيرهم امرك وتوهينهم تدبيرك ، فحذره ذلك وتقدم اليه فيه ولا يكونن منه إفراط في التضييق عليهم والحصر لهم ، فيعنتهم أزله[4] ويشاهم ضنكه ، ويسوء عليه حالهم وتشتدّ به المؤنة عليهم وتخبث له ظنونهم . وليكن موضع إنزاله إياهم مستديرًا ضاماً جامعاً ، ولا يكون منتشرًا ممتدًّا ، فيشقّ ذلك على أصحاب الاحراس ، ويكون فيه التهزة[5] للعدو ، والبعد من المادة ، إن طرق طارق في فجآت[6] الليل وبغتاته . واوعز اليه في أحراسه وُمره فليُولِ

١ . الشكيمة : الانفة .
٢ . ابتلى : اختبر .
٣ . أذكى النار : اوقدها : وأذكى العيون : ارسلها ◎ الاحراس : ج . الحارس
٤ . الازل : الضيق والشدة .
٥ . النُهزة : الفرصة .
٦ . الفجاءات : ج . الفجاءة : ما فاجاك .

عليهم رجلا ركيناً[1] مجرّباً جريء الاقدام ، ذكي الصرامة ، جلد الجوارح[2] بصيراً بموضع أحراسه ، غير مصانع ، ولا مشفع للناس في التنحي الى الرفاهة والسعة ، وتقدّم العسكر او التأخر عنه ، فان ذلك مما يُضعف الوالي ويوهنه لاستنامته الى من ولّاه ذلك وأمّنه به على جيشه

من رسالة الى اهله ، وهو منهزم مع مروان

اما بعد ، فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور ؛ فمن ساعده الحظ فيها سكن اليها ، ومن عضته بنابها ذمّها ساخطاً عليها ، وشكاها مستزيداً لها . وقد كانت اذاقتنا أفاويق[3] استحليناها ، ثم جمحت بنا نافرة ورمحتنا[4] موليّة ، فلح عذبها وخشن لينها ، فابعدتنا عن الاوطان وفرقتنا عن الاخوان ؛ فالدار نازحة والطير بارحة . وقد كتبتُ ، والايام تزيدنا منكم بعداً واليكم وجداً ، فان تتم البلية الى اقصى مدتها ، يكن آخر العهد بكم وبنا ، وإن يلحقنا ظفر جارح من اظفار من يليكم ، نرجع اليكم بذل الإسار ، والذل شر جارّ . نسأل الله الذي يُعزّ من يشاء ، ويذلّ من يشاء ، ان يهب لنا ولكم ألفة جامعة في دار آمنة ، تجمع سلامة الأبدان والاديان ، فانه رب العالمين ، وارحم الراحمين .

من رسالة في الشطرنج

من رسالة كتبها الى احد الولاة ، فبدأ بذكر الشرائع الدينية ، والفرائض ، وما نهى عنه النبي ، حتى انتهى الى قوله :

. . . فكان مما قدّم اليهم فيه نهيه ، واعلمهم سوء عاقبته ، وحذرهم اصره[5] ، واوعز اليهم ، ناهياً وواعظاً وزاجراً ، الإعتكاف على هذه التماثيل

١ ـ الركين : الرزين الوقور .

٢ ـ الجوارح : الجارحة : العضو من الانسان ؛ ولا سيما اليد .

٣ ـ الافاويق : الفيقة : ما اجتمع من الماء في السحاب فهو يمطر ساعة بعد ساعة : اسم الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين : يقولون : ارضعني افاويق برّه : خيار احسانه .

٤ ـ رمحته الدابة : رفسته .

٥ ـ الاصر : الذنب .

من الشطرنج ، والمواصلة عليها ، لما في ذلك من عظيم الإثم ومُوبق[1] الوزر ، مع مشغلتها عن طلب المعاش و إضرارها بالعقول ، ومنعها من حضور الصلوات في مواقيتها مع جميع المسلمين . وقد بلغ امير المؤمنين أنَّ ناساً ممن قِبَلك من اهل الاسلام قد أَلهجهم[2] الشيطان بهـا وجمعهم عليها وألَّف بينهم فيها فهم معتكفون عليها من لدن صبحهم الى نمساهم ، مُلهية لهم عن الصلوات ، شاغلة لهم عما أمروا به من القيام بسنن دينهم ، وأفتُرض عليهم من شرائع اعمالهم ، مع مداعبتهم فيها وسو. لفظهم عليها . وإن ذلك من فعلهم ظاهر في الاندية والمجالس ، غير منكر ولا معيب ولا مستفظع عند اهل الفقه وذوي الورع[3] والاديان والاسنان منهم. فاكبر امير المؤمنين ذلك وعظمه ، وكرهه واستكبره وعلم ان الشيطان ، عندما يئس من بلوغ ارادته في معاصي الله ، عزّ وجلّ ، بحسر المسلمين ومجمعهم صراحاً وجهاراً ، أقدم بهم على شبهة مهلكة ، وزين لهم ورطة[4] موبقة ، وغرّهم بمكيدة حيلة ، إرادة لاستهوائهم بالخِدع واجتيالهم[5] بالشبه والمراصد الخفية المشكلة ؛ وكل مقيم على معصية الله ، صغُرت او كبُرت ، مستحلًا لها ، مُشيدًا[6] بها ، مظهراً لارتكابه اياها غير حذر من عقاب الله ، عزّ وجلّ ، عليها ، ولا خائف مكروهاً فيها ، ولا رهب من حلول سطوته عليها ، حتى تلحَقه المنية فتختلجه[7] ، وهو مصرّ عليها غير تائب الى الله منها ، ولا مستغفر من ارتكابه إياها ؛ فكم قد اقام على موبقات الآثام وكبار الذنوب ، حتى مدّ به مخرم[8] أيامه .

وقد احبَّ امير المؤمنين أن يتقدّم اليهم فيما بلغه عنهم ، وان يُنذرهم ويُوعز اليهم ، ويعلمهم ما في اعناقهم عليهـا ، وما لهم من قبول ذلك من

١ ـ اوبقه : اهلكه.
٢ ـ الهجهم بها : اغراهم بها فثابروا عليها.
٣ ـ الورع : التقوى ، اجتناب المعاصي والشبهات.
٤ ـ الورطة : الوحل ، الهوة الغامضة ، المهلكة.
٥ ـ اجتالهم : حولهم عن طريق قصدهم.
٦ ـ اشاد بالشيء : رفعه بالثناء عليه.
٧ ـ اختلج الشيء : انتزعه واجتذبه.
٨ ـ خرمته الغوارم : مات.

الحظّ ، وعليهم في تركه من الوزو ؛ فآذن[1] بذلك فيهم ، واشده في اسواقهم وجميع انديتهم وأوعز اليهم فيه، وتقدم الى عامل شرطتك في انهاك[2] العقوبة لمن رفع اليه من اهل الإعتكاف عليها والاظهار للعب بها ، وإطالة حبسه في ضيق وضنك[3] وطرح اسمه من ديوان امير المؤمنين . فافظعهم عمّا نهجوا[4] به من ذلك ، والتمس ، بشِدّتك عليهم فيه وإنهاكك بالعقوبة عليه ، ثواب الله وجزاءه وآتباع امير المؤمنين ورأيه. ولا يجدنّ احد عندك هوادة[5] في التقصير في حقّ الله عزّ وجلّ ، والتعدّي[6] لاحكامه ، فتحلّ بنفسك ما يسوءك عاقبة مغبّته[7] ، وتتعرّض به لِغير الله ، عزّ وجلّ ، ونَكاله[8] . واكتب الى امير المؤمنين ما يكون منك ، إن شاء الله ، والسلام .[9]

١ * آذنه بالامر : أعلمه.

٢ * أنهك : بالغ في العقوبة.

٣ * الضنك : الضيق من كل شيء.

٤ * نهج الطريق : سلكه.

٥ * الهوادة : اللين والرفق ، المحاباة.

٦ * تعدّى الشيء : تجاوزه.

٧ * المغبّة : عاقبة الشيء.

٨ * النكال : ما نكلت به غيرك كائنًا من كان ، ونكل بفلان : صنع به صنيعًا يُحذّر غيره اذا رآه.

٩ * مجاني الحديثة ، ج ٢ ، صص ٣٣١ - ٣٤٤

الصاحب بن عباد

هو كافى الكفاة أبو القاسم إسمعيل الصاحب بن عباد وزير آل بويه وكاتبهم وأحد المذيعين للسجع والجناس .

ولد سنة ٣٦٦ هـ بطالقان قزوين . وكان أبوه من خيرة كتاب دولة بنى بويه ووزرائهم . تعلم العلم والأدب والكتابة من أبيه . ثم اتصل بابن العميد ، فلزم صحبته وأخذ عنه الأدب ، وتولى له كتابة خاصته . ثم تنقلت به الأحوال

---

(١) يكدر (٢) الذرع : الخلق أى لا يتسع خلقى وصدرى مع خلوى سنك
(٣) أى شغلوها عندى وشغلوها عندك (٤) أى أنك أنت نظامه وقد غبت عنه ففاته النظام .
(٥) أو اعتقادى (٦) أى فهو ما أرجوه — وكثيراً ما يحذفون الجواب فى مثل هذا المقام

فى خدمة ملوك بنى بويه ، فكان وزيراً لمؤيد الدولة ، ثم لأخيه فخر الدولة ، وله فى ملكهما اليد المطلقة ، والأمر النافذ ، حتى مات سنة ٣٨٥ هـ . وكان مجلسه على تيهه وعجبه بنفسه آخر مجلس لوزير جمع بين العلماء والقراء والكتاب والمصنفين والمتكلمين والشيعة ، ولهم منه حظ موفور ، وله منهم لسان شكور .

ويعد ابن عباد فى الكتابة ثانى ابن العميد فى حلبته ، وأبلغ من سلك طريقته غير أنه أولع بالسجع والجناس ، ولا يعرف بعدهما من بلغ بشرف العلم والأدب مبلغهما ، ولا حل من شرف الملك والسلطان بمهنة الكتابة منزلتهما .

وهو فى العلم من كبار المصنفين ، ومن أعظم مصنفاته الكثيرة كتابه (المحيط) فى اللغة فى سبع مجلدات أو عشر .

ومن رسائله ما كتب به إلى بعض السادة وقد أهدى إلى ابن عباد مصحفاً : البرّ (أدام الله الشيخ) أنواع ، تطول به أبواع[1] ، وتقصر عنه أبواعٌ . فإن يكن فيها ما هو أكرم منصباً وأشرف منسباً ، فتحفة الشيخ إذ أهدى مالا تشاكله النعمُ . ولا تعادله القسيَم كتاب الله وبيانه . وكلامه وفرقانه ، ووحيه وتنزيله ، وهداه وسبيله ، ومعجز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودليله ، ضبع[2] دون معارضته على الشفاه ، وختم على الخواطر والأفواه ، فقصر عنه الثقلان . وبقى ما بقى الملوان . لائح سراجه ، واضح منهاجه ، منير دليله ، عميق تأويله ، يقصم كل شيطان مريد ، ويذل كل جبار عنيد . وفضائل القرآن ، لا تحصى فى ألف قرآن[3] ، فأصف الخط الذى بهر الطرف ، وفاق الوصف ، وجمع صحة الأقسام[4] ، وزاد فى نخوة الأقلام ، بل أصفه بترك الوصف . فأخباره آثاره ، وعينه فراره[5] ، وحقاً أقول : إنى لا أحسب أحداً ما خلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت ، وابتدع فى استكتابها ما ابتدعت ، وإن هذا المصحف لزائد عن جميعها زيادةَ الفرْع على الغرّة ، بل زيادةَ الحج على العمرة .

---

(١) جمع باع (٢) خيم بالطابع أى لا يعارض (٣) القرآن الثانية بمعنى الجمع أى أن فضائله لا تحصى فى ألف كتاب جامع (٤) أى الأجزاء أى نسبة أجزاء الحروف .
(٥) مصدر فر عن الأمر بحث عنه و (عينه فراره) مثل يضرب لما يدل ظاهره على باطنه .

المحبوب الأصفر [١] اسودّ يومى الأبيض ، وابيضّ فودى [٢] الأسود ، حتى رثى لى العدو الأزرق ، فحبذا الموت الأحمر .

الكتّاب

كان أكثر كتاب المشرق فى هذا العصر من سلائل فارسية أو سوادية [٣] وقد بلغوا بحذقهم سياسة الملك ونبوغهم فى البلاغة أن ارتقوْا عند خلفاء العباسيين إلى مرتبة الوزارة التى لم تكن معروفة قبلهم فى الإسلام ؛ وأوّل كاتب منهم ارتقى إليها هو أبو سلمة الخلاّل . وأشهر من بلغ نفوذُه وسلطانه مبلغاً زاحم فيه الخليفة وأصبح الملك فى قبضته يحيى بن خالد بن برمك [٤] وابناه جعفر والفضل ، ثم محمد بن الزيات فى زمن المعتصم والواثق وكان كتاب الأندلس والمغرب أكثرهم من سلائل عربية ، وكانت الحجابة فى الأندلس أرقى من رتبة الوزارة ، والوزير عندهم يطلق على قرين الخليفة ومستشاره الخاص ، فإذا تولى مرتبة الكتابة والإدارة للدولة سمى ذا الوزارتين .

ومن أشهر كتاب هذا العصر فى الشرق ابن المقفع ؛ ويحيى بن خالد بن برمك وابناه : جعفر والفضل ؛ وإسماعيل بن صبيح [٥] ؛ وعمرو بن مسعدة ، وأحمد بن يوسف ، وابن الزيات [٦] ؛ والحسن بن وهب [٧] ، وعلى بن الفرات [٨] ؛ وابن مقلة ، وابن العميد ، والصاحب بن عباد ؛ وأبو بكر الخوارزمى ، والبديع ، والصابى [٩] ، والعماد الكاتب [١٠] ، والقاضى الفاضل .

---

(١) أى الدينار . (٢) الفود جانب الرأس

(٣) أهل السواد عندهم سكان الفرات من سلائل البابليين والأشوريين وربما سموهم نبطاً .

(٤) كان من أكبر بطانة المهدى ومربياً لولده الرشيد ثم صار وزيراً ومدبراً لدولة الرشيد ثم وزيراً للرشيد ابناه الفضل فجعفر ، فأما جعفر فقتله الرشيد سنة ١٨٧ وأما يحيى وابنه الفضل فماتا فى سجن الرشيد (٥) كان وزيراً للرشيد بعد جعفر (٦) هو محمد بن عبد الملك الزيات كان كاتباً شاعراً داهياً جباراً وزر للمعتصم والواثق والمتوكل سنة ٢٣٣ هـ .

(٧) كان صاحب ديوان الرسائل للمتوكل (٨) كان وزيراً للمقتدر (٩) كان صاحب ديوان الرسائل ببغداد زمن عز الدولة بن بويه وهو من كتاب الإطناب (١٠) كان كاتباً لنور الدين بن زنكى صاحب الجزيرة وحلب ثم صار من رؤساء الكتاب عند صلاح الدين الأيوبى

ومن أشهر كتابه فى الأندلس ابن شُهيد[١] ، وأبو المطرِّف بن عميرة[٢] وابن زيدون ، ولسان الدين الخطيب .

ابن المقفع

هو أبو محمد عبد الله بن المقفع أحد فحول البلاغة وثانى اثنين مهَّدا للناس طريق الترسل ورفع لهم معالم صناعة الإنشاء ، أولهما عبد الحميد .

منشؤه وعمله — كان ابن المقفع من أبناء الفرس الناشئين بين أحياء العرب فكان أبوه داذَوَيه المقفع يعمل فى جباية الخراج لوُلاة العراق من قبَل بنى أمية ، وهو على دين المجوسية وولد له ابنه هذا حوالى سنة ١٠٦ هـ .

وسماه (رَوْزَبَة) فنشأ بالبصرة وهى يومئذ قَحلبة العرب[٣] ومجمع الفقهاء والرواة المحدثين وأصحاب اللغة ، وحاضرة البر والبحر ، وقرارة المربد[٤] ، مُنتدَى البلغاء والخطباء والشعراء ، فكان لكل ذلك فوق ذكائه المفرط ، وتأديب أبيه وأخذه له بتعليم الفارسية وصناعة الكتابة أعظمُ أثر فى تربيته وتهيئته لأن يصيرَ من أكبر كتاب العربية وعلمائها وأدبائها والمترجمين إليها .

ولما ذاع فضله استكتبه فى عصر بنى أمية داود[٥] بن يوسف بن عُمر هُبيرة . ثم كتب فى عصر بنى العباس لعيسى بن على عم الخليفة أبى جعفر المنصور العباسى أيام ولايته على كرْمانَ ، وعلى يديه أسلم بمحضر من الناس وتسمى (عبد الله) وتكنى بأبى محمد بدل أبى عمرو . ثم ألزمه أخوه إسماعيل ابن على بعض بنيه ليؤدبه ثم كان آخر أمره فى خدمة أخيهما سليمان بن على أيام ولايته على البصرة ويظهر أنه اتصل فى أثناء ذلك بأبى جعفر المنصور اتصالَ معرفة لا اتصال خدمة ، فترجم له كثيراً من الكتب الفارسية واليونانية المنقولة قديماً إلى الفارسية . وبقى فى خدمة أعمام الخليفة بقية عمره حتى قتل

---

(١) كان وزيراً للخليفة الناصر الأموى الأندلسى (٢) كان من كتاب ملوك الطوائف والبربر بالأندلس (٣) القحلبة جماعة الخيل للسباق وتستعمل مجازاً فى الطائفة من عظماء الرجال (٤) مكان بطرف البصرة عن طريق القادم من البادية يجتمع فيه فصحاء عرب البصرة ويخطبون ويتناشدون وهو الذى خلف عكاظ فى الجاهلية (٥) أحد ولاة بنى أمية على العراق .

بالبصرة سنة ١٤٢ قتله سفيان بن معاوية والى البصرة بعد عزل سليمان، لضغينة عليه ولاتهامه بالزندقة والكيد للإسلام بترجمة كتب الزنادقة إلى العربية . وكانت هذه التهمة مما جعل الخليفة يهمل تحقيق مقتله عندما شكا عماه عيسى وسليمان الوالىَ القاتلَ إليه ، لا كما يقال من أن الخليفة أمر الوالى بقتله انتقاماً منه لكتابته صورة أمان يؤخذ على الخليفة لأحد أعمامه الخارجين[1] وإحراجه فيه بالأيمان المغلظة ، إذ أن ذلك مما يجلّ عنه مقام أبى جعفر .

أخلاقه وبلاغته — كان نادرة فى الذكاء غاية فى جمع علوم اللغة والحكمة وتاريخ الفرس ، متأدباً متعففاً قليل الاختلاط إلا بمن هو على شاكلته ، كثير الوفاء لأصحابه وكان أمةً فى البلاغة ورصانة القول وشرف المعانى إلى بيان غرض ، وسُهولة لفظ ورَشاقة أسلوب ، ولا توصف بلاغته بأحسن مما وصف هو البلاغة حيث يقول : « البلاغة هى التى إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها » وكان يرى أن التتبع لغريب الكلام طمعاً فى نيل البلاغة هو العىّ الأكبر ؛ وينصح للكتاب باتباع ما سهل من الألفاظ مع التجنب لألفاظ السفلة . وقد ذاعت طريقة ابن المقفع وعبد الحميد فى توخى السهولة وسلامة التعبير مع العناية بإجادة المعنى . بين الكتاب من أجل زمانها ومن بعدهما ، وإنما صعبت عبارة ابن المقفع فى الأدبين الصغير والكبير ونحوهما : لأنه ساقهما مساق الفلسفة ، ويغلب على أساليبه فيهما القياس المنطقىّ وأفكار الفلاسفة الدقيقة التى قلما تظهر للقارئ إلا بعد الكد . ويمتاز عبد الحميد — وإن لم يكن ابن المقفع دونه فى البلاغة — بما تسنى له من وضع الأنظمة للرسائل الديوانية

---

(١) هو عبد الله بن على ، خرج على المنصور بالشام والجزيرة فسير عليه أبا مسلم الخراسانى فهزم جموعه وفر عبد الله إلى البصرة مختفياً بأخويه إسماعيل وسليمان فطلبه المنصور فلم يجيباه إلا بأمان لعبد الله يمليان شروطه فقبل ذلك المنصور فأمر ابن المقفع كاتبهما أن يحرر أماناً يتصعب فى شروطه فكان مما كتب (ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله فنساؤه طوالق ودوابه حبس وعبيده أحرار والمسلمون فى حل من بيعته) فاشتد ذلك عليه وخاصة أمر البيعة . وحقدها على ابن المقفع فيقال إنه أوعز إلى سفيان والى البصرة بقتله خفية ؛ فزاره ابن المقفع يوماً لأمر فقتله وحرقه وذرى رماده .

وتنسيق صور لها ؛ لأنه أتيح لعبد الحميد ما لم يتح لابن المقفع من رياسة الكتابة فى دواوين الخلافة ، ويمتاز ابن المقفع بعلمه وترجمته لكثير من الكتب الفلسفية والأدبية .

فقد ترجم ابن المقفع كتباً عدة من الفارسية إلى العربية من أشهرها كتاب كليلة ودمنة[١] . وله فى الأدب كتاب الأدب الصغير ، والأدب الكبير ، وكتاب الدرة اليتيمة ؛ وهى لا تزال مكنونة فى طىّ الخفاء ، وإنما طبع الأدب الكبير معنوناً باسمها خطأ ، ثم طبع فى مصر مسمى باسمه الحقيق . وهاك نموذجاً من قصار رسائله .

قال فى السلامة — (أما بعد) فقد أتانى كتابك فيما أخبرتنا عنه من صلاحك وصلاح من قِبَلك . وفى الذى ذكرت من ذلك نعمةٌ مجللةٌ عظيمة ، يُحمد عليها وليها المنعم المتفضل المحمود . ونسأله أن يلهمنا وإياك من شكره وذكره ما به مزيدها وتأدية حقها .

وسألت أن أكتب إليك بخبرنا . ونحن من عافية الله وكفايته ودفاعه على حال لو أطنبتُ فى ذكرها لم يكن فى ذلك إحصاء للنعمة ، ولا اعتراف بكنه الحق فترغب للذى تزداد نعمه علينا فى كل يوم وليلة تظاهراً ألا يجعل شكرنا منقوصاً ولا مدخولاً[٢] ، وأن يرزقنا من كل نعمة كفاءها[٣] . من المعرفة بفضله فيها والعمل فى أداء حقها إنه ولى قدير .

---

(١) المشهور أن ابن المقفع ترجم هذا الكتاب من الترجمة الفارسية الفهلوية عن الهندية ويرى بعض أهل الأدب من المتقدمين وكثير من أدباء الإفرنج المستعربين أنه وضعه وأنه نحله الهند القدماء لترغيب قراء زمانه فى مطالعة كتب الحكمة والفلسفة التى لم يكونوا يأبهون لها إلا إذا أسندت إلى القدماء ونحن نتابع أصحاب هذا الرأى ولنا ولهم فى ذلك أدلة كثيرة يضيق المقام عن ذكرها (٢) أى دخله شىء من الرياء ونحوه (٣) أى جزاؤها .

إبراهيم الصُّولى

هو أبو إسحق إبراهيم بن عباس بن محمد بن صول[١] ، كاتب العراق وأشهر أصحاب المقطعات . نشأ ببغداد فى بيت كتابة وبلاغة ، فتلقى العلم والأدب عن أهله وأئمة زمانه . واشتغل بالشعر فى حداثته فبرع فيه . وتكسب به ، ورحل إلى العمال والأمراء يمدحهم ويستميح جدواهم . ثم قصد الفضل ابن سهل وزير المأمون أيام مقامه معه بخراسان[٢] ، ومدحه ومدح على بن موسى الرضا العلوى الذى جعله المأمون بمساعى الفضل ولى عهده . فوهب له على عشرة آلاف درهم . وجعله الفضل كاتباً لأحد قواده . وبعد أن قتل الفضل وُشى به إلى المأمون فوجد عليه ثم عفا عنه .

وبقى يتنقل فى أعمال النواحى والدواوين حتى كان زمن الواثق عاملاً على الأهواز[٣] فتحامل عليه وزيره ابن الزيات (وكان قبل صديقاً له) فعزله وسجنه بها ، فكتب إليه كتباً بليغةً ، وقصائد كثيرة يستعطفه بها ، فلم يزدد بذلك إلا جفاء وغلظة . ثم اطلع الواثق على ذلك فأطلقه . وتولى ديوان الضياع والنفقات فى خلافة المتوكل . وكانت بلاغته وظرفه يستران ضعفه فى عمله لقلة بضاعته فى الحساب ، ولم يُعقه عن تقلد الوزارة إلا اشتهاره بالخلاعة . ومات بسرّ مَنْ رأى سنة ٢٤٣ هـ وعمره سبعون سنة .

وكان إبراهيم أحد كتاب الدنيا فى زمانه ويلقب بكاتب العراق .

وكانت معانيه التى يستخدمها فى كتابته كلها مبتكرة . وباعتماده على نفسه واختراعه للمعانى صار كلامه قدوة لغيره حتى ضارع الأمثال فى الشهرة نثراً ونظماً . وهو أحد الذين راعوا الازدواج فى فقرات الكتابة ، فاقتدى بهم غيرهم وأحد الذين اشتهروا فى التعازى .

---

(١) كان صول هذا وأخو فيروز ملكى جرجان وهما من الترك تمجسا وتشبها بالفرس ثم أسلما على يد يزيد بن المهلب بن أبى صفرة فاتح جرجان زمن بنى أمية ، فلما قتل يزيد دخل ابنا صول محمد وسعيد فى الدعوة العباسية وتعلم أولاد سعيد الكتابة (٢) أقام المأمون بخراسان مدة ولايته عليها زمن الأمين كله ومدة محاربته له ثم بعد قتله وأول الخلافة إليه بقى بها حتى خلعه أهل بغداد وولوا إبراهيم بن المهدى خليفة فرجع إلى بغداد وفر إبراهيم (٣) إقليم شرقى البصرة .

إن لم يكن بالاقتباس منه فبالتشبه به ، وإن كان هو أقلهم التزاماً للمسجوع ، وأقربهم إلى المطبوع .

ومن رسائله إلى عبد الله الطبرى :

كتابى إليك وأنا بحال لو لم ينغصها الشوق إليك ، ولم يرنّق[١] صفوها النزوع نحوك لعددتها من الأحوال الجميلة ، وأعددت حظى منها فى النعم الجليلة . فقد جمعتُ فيها بين سلامة عامة ، ونعمة تامة ، وحظيت منها فى جسمى بصلاح ، وفى سعيى بنجاح ، لكن ما بقى أن يصفولى عيش مع بعدى عنك . ويخلو ذَرعى مع[٢] خلوّى منك ، ويسوغ لى مطعم ومشرب مع انفرادى دونك ، وكيف أطمع فى ذلك وأنت جزء من نفسى ، وناظم لشمل أنسى . وقد حُرمت رؤيتك ، وعدمت مشاهدتك ، وهل تسكن نفس ، متشيعة ذات انقسام[٣] ، وينفع أنس بيت بلا نظام[٤] ، وقد قرأت كتابك جعلنى الله فداءك فامتلأت سروراً بملاحظة خطك ، وتأمل تصرفك فى لفظك ، وما أقرظهما فكل خصالك مقرظ عندى ، وما أمدحهما فكل أمرك ممدوح فى ضميرى وَعقدى[٥] . وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقة لتقديرى فيك ، فإن كان كذلك[٦] ، وإلا فقد (غطى هواك وما ألقى على بصرى) .

الصاحب بن عباد

هو كافى الكفاة أبو القاسم إسمعيل الصاحب بن عباد وزير آل بويه وكاتبهم وأحد المذبعين للسجع والجناس .

ولد سنة ٣٢٦ هـ بطالَقان قزوين . وكان أبوه من خيرة كتاب دولة بنى بويه ووزرائهم . تعلم العلم والأدب والكتابة من أبيه ، ثم اتصل بابن العميد ، فلزم صحبته وأخذ عنه الأدب ، وتولى له كتابة خاصته . ثم تنقلت به الأحوال

---

(١) يكدر (٢) الذرع : الخلق أى لا يتسع خلقى وصدرى مع خلوى منك
(٣) أى شطرها عندى وشطرها عندك (٤) أى أنك أنت نظامه وقد غبت عنه ففاته النظام .
(٥) أى اعتقادى (٦) أى فهو ما أرجوه — وكثيراً ما يحذفون الجواب فى مثل هذا المقام

فى خدمة ملوك بنى بويه ، فكان وزيراً لمؤيد الدولة ، ثم لأخيه فخر الدولة ، وله فى ملكهما اليد المطلقة ، والأمر النافذ ، حتى مات سنة ٣٨٥ هـ . وكان مجلسه على تيهه وعجبه بنفسه آخر مجلس لوزير جمع بين العلماء والقراء والكتاب والمصنفين والمتكلمين والشيعة ، ولهم منه حظ موفور ، وله منهم لسان شكور .

ويعد ابن عباد فى الكتابة ثانى ابن العميد فى حلبته ، وأبلغ من سلك طريقته غير أنه أولع بالسجع والجناس ، ولا يعرف بعدهما من بلغ بشرف العلم والأدب مبلغهما ، ولا حل من شرف الملك والسلطان بمهنة الكتابة منزلتهما .

وهو فى العلم من كبار المصنفين ، ومن أعظم مصنفاته الكثيرة كتابه (المحيط) فى اللغة فى سبع مجلدات أو عشر .

ومن رسائله ما كتب به إلى بعض السادة وقد أهدى إلى ابن عباد مصحفاً : البرّ (أدام الله الشيخ) أنواع ، تطول به أبواع[١] ، وتقصر عنه أبواعٌ ؛ فإن يكن فيها ما هو أكرم منصباً وأشرف منسباً ، فتحفة الشيخ إذ أهدى مالا تشاكله النعمُ ، ولا تعادله القيمَ كتاب الله وبيانه ، وكلامه وفرقانه ، ووحيه وتنزيله ، وهداه وسبيله ، ومعجز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودليله ، طبع[٢] دون معارضته على الشفاه ، وختم على الخواطر والأفواه ، فقصر عنه الثقلان ، وبقى ما بقى الملوان : لائح سراجه ، واضح منهاجه ، منير دليله ، عميق تأويله ، يقصم كل شيطان مريد ، ويذل كل جبار عنيد . وفضائل القرآن ، لا تحصى فى ألف قرآن[٣] ، فأصف الخطر الذى بهر الطرف ، وفاق الوصف ، وجمع صحة الأقسام[٤] ، وزاد فى نخوة الأقلام ، بل أصفه بترك الوصف ، فأخباره آثاره ، وعينه فراره[٥] ، وحقاً أقول : إنى لا أحسب أحداً ما خلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت ، وابتدع فى استكتابها ما ابتدعت ، وإن هذا المصحف لزائد عن جميعها زيادةَ الفرْع على الغرّة ، بل زيادةَ الحج على العمرة .

---

(١) جمع باع (٢) خيم بالطابع أى لا يعارض (٣) القرآن الثانية بمعنى الجمع أى أن فضائله لا تحصى فى ألف كتاب جامع (٤) أى الأجزاء أى نسبة أجزاء الحروف .
(٥) مصدر فر عن الأمر بحث عنه و (عينه فراره) مثل يضرب لما يدل ظاهره على باطنه .

وتقلب الخوارزمى فى خدمة كثير من الملوك والأمراء والوزراء ، فى الدول المتفرعة عن الخلافة ، وجلهم يومئذ من الشيعة ، فاصطبغ بصبغة التشيع أيضاً ، حتى ألقى عصا التسيار بمدينة نيسابور[1] وطاب عيشه بها ، إلى أن مُنى فى آخر أيامه بمساجلة بديع الزمان الهمذانى ومناظرته ومناضلته ، وأعانه عليه قوم من أعيان البلدة ووجوهها ، فانخذل انخذالاً شديداً ، وكسف باله . ولم يحلْ عليه الحول حتى مات سنة ٣٨٣ هـ .

وكان الخوارزمىّ ممن يجرى على طريقة ابن العميد فى الكتابة متوخياً جزالة الألفاظ ، محتفلا بصحة المعانى ، مع ميل إلى الغريب .

ومن قصار رسائله ما كتبه إلى تلميذ له :

إن كنت (أعزّك الله) لا ترانا موضعاً للزيارة فنحن فى موضع الاستزارة ، وإن كنتَ تعتقدُ أنك قد استوفيتَ ما كان لدينا ، فسقط حقنا عنك وَبَقِىَ حقك علينا ؛ فقد يزورُ الصحيحُ الطبيبَ بعد خروجه من دائه ، واستغنائه عن دوائه ، وقد تجتاز الرعيةُ على باب الأمير المعزول ، فتتجمل له ولا تعيّره عزلَهُ ولو لم تزرنا إلا لترينا رجحانك ، كما طالما رأينا نقصانك ، لكان ذلك فعلا صائباً وفى القياس واجباً .

بديع الزمان الهمذانى

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الكاتب المترسل والشاعر المبدع ، حافظ عصره وأذكى دهره ، وقدوة الحريرى فى إنشاء المقامات ، وقريع الخوارزمى فى المبادهات والمكاتبات .

نشأ بهمذان[2] ، ودرَس العربيةَ والأدب ونبغ فيهما ، وضرب فى الأرض يتكسب بأدبه ، ثم أقام بنيسابور مدة أملى بها أربعمائةَ مقامة[3] بلفظ

(١) كانت مدينة شهيرة من مدن خراسان دمرها التتار عند اجتياحهم الممالك الإسلامية فخربت ولم تعمر بعد (٢) مدينة شمال فارس (٣) أطلقت المقامة فى ذلك العصر على كل قصة خيالية أنشئت بعبارة مسجوعة غالباً محلاة بأنواع البديع ، مشتملة على كثير من الغريب .

رشيق ، وسجع رقيق ؛ وعلى منوالها نسجَ الحريريّ . ثم شجر بينه وبين الخوارزمى ما كان سبباً فى هبوب ريحه وبعد صيته . إذ لم يكن فى الحسبان أن أحداً يجترئ على الخوارزمى .

وبموت الخوارزمى خلا له الجو عند الملوك والأمراء ، فجوّل فى حواضرهم ، ثم استوطن هراة[1] وصاهر أحد أعيانها العلماء ، فحسنت حاله ، ونعم باله ، ولكن المنية عاجلته وهو فى سن الأربعين سنة ٣٩٨ هـ .

وكان البديع أسرع أهل زمانه بديهةً ، وأكثر كتابته وشعره مرتجل . وكانت عبارته لينةً سهلةً قصيرة السجع ، تشهد بأن صاحبها لم يكدح فيها خاطره ، ولم يتعمل فى صنعتها . وكان لحدّة ذهنه وغزارة مادته ، وتمكنه من صناعته ، تلقى عليه القصيدة الفارسية فيترجمها فى الحال إلى العربية شعراً ، ويقترح عليه الكتابُ فيبتدئ بآخر سطوره وينتهى بأوله ، ويخرجه كأحسن ما يكون .

(ومن كتابته ما كتبه موصياً وارث مال) :

وصلت رُقعتك يا سيدى والمصاب لعمر الله كبير ، وأنت بالجزع جدير ، ولكنك بالصبر أجدر ، والعزاء عن الأعزة رشد كأنه الغىّ ؛ وقد مات الميت فليحى الحى ، فاشدّد على مالك بالخمس ؛ فأنت اليوم غيرك بالأمس ، قد كان ذلك الشيخ (رحمه الله) وكيلك ، تضحك ويبكى لك ، وقد موّلك بما ألف بين سُرّاه وسيره ، وخلفك فقيراً إلى الله غنياً عن غيره ، وسيعجمُ الشيطان عُودك . فإن استلانه رماك بقوم يقولون : خير المال ما أتلف بين الشراب والشباب ، وأنفق بين الحباب والأحباب ، والعيش بين الأقداح والقداح ، ولولا الاستعمال لما أريد المال ، فإن أطعتهم فاليوم فى الشراب ، وغداً فى الخراب ، واليوم واطرَبا للكأس ، وغداً واحربا من الإفلاس . يا مولاى ذلك الخارج من العود يسميه العاقل فقراً والجاهل نَقراً ، وذلك المسموع من الناى هو اليوم فى الآذان زمر ، وغداً فى الأبواب سمر ؛ والعمر مع هذه

---

(١) هى مدينة عظيمة ببلاد الأفغان قيل إن الإسكندر المقدونى هو الذى بناها .

كما كان أبسطهم رقعة ملك ؛ فألقى إليه مقاليد وزارته ، وأصبح صاحبَ أمره ونهيه ، وشريكه جدّه وأنسه .

ولما مات المعتضد وخلفه ابنه المعتمد كان له كما كان أبوه ؛ وأغدق عليه بره ونعمه . ومكث ابن زيدون على هذه الحال حتى مات بأشبيلية سنة ٤٦٣ هـ .

كتابته

ولما كان ابن زيدون منذ نشأته مطبوعاً على الشعر غلبت ملكته عليه فى كثير من كتابته ؛ إذ كانت مجموعةَ أبيات مثنورة ؛ وتلميحات إلى حوادث مشهورة ، وأمثال وحكم فى فقار غير مسجوعة غالباً ، سالكاً فيها طريق التهويل والمبالغة فى فُروضه وأقيسته وتشبيهاته ؛ وجرى على ذلك فى رسالتيه الهزلية التى كتبها على لسان وَلاّدَةَ بنت المستكفى يتهكم فيها بالوزير أبى عامر ابن عَبدوس ، والجدّية التى استعطفَ بها ابن جهور .

وقد شرحهما الأدباء وعُنوا بتفصيل ما فيهما من الأخبار والأشعار والحكم وتراجم الشعراء ؛ وأشهر تلك الشروح شرح ابن نُباته للهزلية ؛ والصفدى للجدّية . ولولا جمع هاتين الرسالتين لكثير من فنون اللغة والأدب والتاريخ ما نسختْ شهرتُه بالكتابة عند المتأخرين شهرته بالشعر عند المتقدمين ؛ حتى كان يلقب عندهم ببحترىّ المغرب . ولا يقدح ذلك فى بلاغته ، وفصاحة عبارته ، فمقام الرجل فى سعة اطلاعه ، وسرعة خاطره ، أشهر من أن يُنوّه به ؛ فقد قيل إنه دفن بنتاً له ووقف ليشكر الناس ، لتشييع جنازتها ، فما أعاد فى ذلك الوقت عبارة قالها لأحد ، وتلك غاية لا تدرك فى القدرة على صناعة الكلام :

ومن فصوله فى الرسالة الجدية :

هذا العتبُ محمودٌ عواقبه ، وهذه النبوة[1] غَمرة[2] ثم تنجلى ، وسحابة

(١) الجفوة (٢) أصلها من غمرة الماء ، تستعمل فى كل كربة تعترى المرء .

صيف عن قليل تقشّع[١] ، ولن يَريبنى[٢] من سيدى أن أبطأ سَيْبُه[٣] ، أو تأخرَ — غيرَ ضنين — غَناؤُه[٤] فأبطأ الدّلاه[٥] فيضاً أملؤُها ، وأثقل السحائب مشياً أحفلها[٦] ، وأنفع الحيا[٧] ما صادف جَدِباً ، وألذ الشراب ما أصاب غليلاً[٨] ، ومع اليوم غدٌ ، ولكل أجل كتابٌ ، له الحمد على اهتباله[٩] ، ولا عَتبَ عليه فى إغتفاله[١٠] .

فإن يكن الفعل الذى ساء واحداً فأفعاله اللائى سرَرْن ألوف[١١]

القاضى الفاضل

هو أبو على عبد الرحيم البيسانى[١٢] اللّخمى[١٣] ، كاتب الديار المصرية ، وصاحبُ الطريقة الفاضلية ، والكتابة البديعية . ولد بمدينة عسقلان[١٤] سنة ٥٢٩ وتعلم على أبيه[١٥] وغيره ، ولما شدا من العربية شيئاً قدم مصرَ وهو شابّ أواخرَ الدولة الفاطمية ، لتعلم الكتابة والخدمة فى الديوان ، وتوجه إلى ثغر الإسكندرية . وتعلم فى ديوان ابن حديد قاضيها وكاتبها . وظهر فضله فيما كان يرسله إلى القاهرة من الرسائل ، فاستقدم أيام الظافر إليها ، وكان من كتاب ديوانه ، ولازم خدمة أكابر القضاة والكتاب فى الديوان وأخذ عنهم وحاكاهم .

ولما سقطت الدولة الفاطمية تولى وزارة صلاح الدين بن أيوب ، وكان يتردد بين مصر والشام فى الحروب الصليبية ، ودبر المملكة أحسن تدبير . وبقى فى الوزارة حتى مات صلاح الدين ، فوزر لابنه العزيز على مصر ، ثم وزر من بعده لأخيه الأفضل ، ومات سنة ٥٩٦ هـ .

---

(١) تزول (٢) يوقعنى فى الريب وسوء الظن (٣) عطاؤه وعرفه والمراد به هنا الرضا والعفو (٤) نفعه ومعروفه (٥) جمع دلو (٦) أملؤها (٧) المطر (٨) شدة العطش (٩) الاهتبال الاغتنام أى على اغتنامى منه نعمته السابقة .
(١٠) أى إهماله لى (١١) البيت للمتنبى وواحداً خبر يكن (١٢) نسبة إلى بلدة بفلسطين (١٣) نسبة إلى قبيلة لخم اليمانية (١٤) بلدة على ساحل فلسطين شمال غزة ، وهى خربة الآن (١٥) هو قاضى عسقلان بهاء الدين على البيسانى .